مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 45 . العدد 3

1444 هـ - 2023 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
أَثَرُ الفائِدةِ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ	ياسر منون د. إبراهيم البب د. مصطفى نمر	46-11
City Dwellers in Eliot's The Waste Land	هوزان الصالح د. باسمة محفوض	82-47
دراسة تداولية لخطاب الأطفال ذوي اضطراب التوحد : نظرية أفعال الكلام	ذكرى اليوسف د. زينب منصور	116-83
المكان في شعر نزار قباني بيروت أنموذجاً	هبة فاخوري د. جودت إبراهيم	146-117

أَثَرُ الفائِدةِ فِي الدّرسِ النَّحْوِيِّ

ياسر وليد منون* أ. د. إبراهيم البب** أ. م. د. مصطفى نمر***

المُلخَّص

مِن الحقائقِ التي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيْثَةُ الْمُنْصَبَّةُ عَلَى دِرَاْسَةِ اللُّغَةِ، أَنَّ الدِّلَاْلَاْتِ اللُّغَوِيَّةَ تَنْبَعُ مِنَ الْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ لِلُّغَةِ، بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ التَّوَاْصُلِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ نَبَعَتْ فكْرَةُ الْبَحْثِ –وَهِيَ مَفْهُوْمُ الْفَاْئِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ– بِوَصْفِهَاْ جزْئِيَّةً لَاْ تَتَجَزَّأُ لِاسْتِمْرَاْرِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِ بِشَكْلِهَاْ السَّلِيْمِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَقَدْ تَنَاْوَلَ هَذَا الْبَحْثُ تَوْضِيْحَ مَفْهُوْمِ الْفَاْئِدَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحاً، والفَرق بينَه وَبَيْنَ الْإِفْهَاْمِ، وَبَيَّنَ أَهَمِّيَّتَهُ فِي النَّظَرِيَّةِ التَّدَاْوُلِيَّةِ الْحَدِيْثَةِ، وَمِنْ ثَمَّ حَاْوَلَ بَيَاْنَ مَدَى وُجُوْدِهِ عِنْدَ عُلَمَاْئِنَا الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى وَتَنَاْوُلِهِمْ لَهُ فِيْ ضَبْطِ قَوَاْعِدِهِمْ، وَإِشَاْرَتِهِمْ إِلَى خُرُوْجِ الْكَلَاْمِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ لِلتَّعْبِيْرِ عَنْ شُعُوْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَحَاْسِيْسِهِ، كَمَاْ وَضَّحَ الْبَحْثُ إِشَاْرَةَ الْبَاْحِثِيْنَ الْمُحْدَثِيْنَ إِلَى أَهَمِّيَّةِ هذا المفهومِ وَإِشَاْدَتِهِمْ بِتَنَاْوُلِ عُلَمَاْئِنَا القُدَاْمَى لَهُ، وَأَتْبَعَ البحثُ كُلَّ ذَلِكَ بِدِرَاْسَةٍ تَطْبِيْقِيَّةٍ بَيَّنَ فِيْهَاْ أَثَرَ هَذَا الْمَفْهُوْمِ فِي التَّوْجِيْهَاْتِ النَّحْوِيَّةِ.

الكَلِمَاْت الْمِفْتَاْحِيَّة: الْفَاْئِدَة، السَّاْمِع، الْمَعْنَى.

---

[*] طالب دكتوراه في قسم اللُّغة العربيَّة بكلّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

[**] أستاذ في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

[***] أستاذ مساعد في قسم اللُّغة العربيَّة بكليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة بجامعة تشرين، اللَّاذقيَّة، سورية.

The Effect of Interest in the Grammar Lesson

*** Yasser Walid Mannoun ** Prof. Ibrahim Al-beb**
***** Prof. A. Mustafa Nemr**

The Abstract

One of the greatest facts of modern theories focused on the study of language Linguistic connotations stem from the user positions of language as the tool of communication between the addresser and the addressee.

And from this fact, the idea of research comes out -which is the concept of interest in grammar- as an indivisible part of the continuation of the process of proper communication between the addresser and the addressee.

This research has addressed the clarification of the concept of research in language and terminology, and the difference between it and the understanding; and shows its importance in modern deliberative theory. And then he tried to show how much he was with our old Arab scholars and its use in controlling their rules. And their reference to the departure of speech from the benefit to express the feelings of the speaker and his emotions. The research also showed the reference of the modern researchers to the importance of this concept and their praise for the handling of it by our scholars. The research followed all this with an applied study that showed the impact of this comprehension on grammatical guidance.

Keywords: the benefit, the listener, the meaning

(*) Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
(**) Assistant professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
(***) PhD Student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

المقدِّمة

سَعَى الْعُلَمَاْءُ الْعَربُ الْقُدَاْمَى –وَهُمْ يُسَطِّرُوْنَ الْقَوَاْعِدَ النَّحْوِيَّةَ لِلْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ– إِلَى أَنْ يَكُوْنَ النَّحْوُ عِلْماً يُفْهَمُ بِهِ خِطَاْبُ الْعَرَبِ وَاسْتِعْمَاْلَاْتُهِمْ، وَقَدْ أَدْرَكُوْا أَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاْجُ مِنْهُمْ إِلَى تَدْوِيْنِ اللُّغَةِ فِي الْمَوْقِفِ التَّخَاْطُبِيِّ الْقَاْئِمِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ.

وَإِيْمَاْنُهُم بِأَنَّ دِلَاْلَاْتِ اللُّغَةِ لَاْ يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَكْشَفَ إِلَّا مِنْ خِلَاْلِ تِلْكَ الْحَقِيْقَةِ، جَعَلَهُمْ يَلْجَؤُوْنَ إِلَيْهَاْ فِيْ تَفْسِيْرَاْتِهِم النُّصُوْصَ اللُّغَوِيَّةَ وَتَوْجِيْهِهَاْ وَتَعْلِيْلِهَاْ على وفق وَظِيْفَةِ اللُّغَةِ الَّتِيْ يَسْتَهْدِفُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ نَقْلَ أَغْرَاْضِهِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ.

وَلَعَلَّ حَاْجَةَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى نَقْلِ غَرضِهِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ هِيَ الَّتِي جَعَلَت اهْتِمَاْمَ النُّحَاْةِ يَنْصَبُّ عَلَى وَضْعِ قَوَاْعِدَ يَتَفَهَّمُهَا الْمُخَاْطَبُ وَيَتَقَبَّلُهَا بِهَدَفِ حُصُوْلِهِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ مِنَ الْكَلَاْمِ وَمِنْ ثَمَّ التَّوَاْصُل مَعَ الْمُتَكَلِّمِ وَتَحْقِيْق حَاْجَتِهِ.

فَلَيْسَ اهْتِمَاْمُ النُّحَاْةِ بالمُخَاْطَبِ إِلَّا لِأَنَّهُمْ أَيْقَنُوا بِأَنَّ الْغَرَضَ الَّذِيْ يَرُوْمُ الْمُتَكَلِّمُ تَوْصِيْلَهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ مِنْ خِلَاْلِ الْكَلاْمِ لَاْ يُمْكِنُ أَنْ يُحَصِّلَ الْمُخَاْطَبُ فَاْئِدَتَهُ إِلَّا إِذَاْ رَاْعَى الْمُتَكَلِّمُ حَاْلَ مُخَاْطَبِهِ.

وَبِنَاْءً عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ وُجِدَتْ بِسَبَبِ نَقْلِ أَغْرَاْضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ رَأَى الْعُلَمَاْءُ الْعَرَبُ أَنَّ الْكَلاْمَ يَجِبُ أَنْ يَحْمِلَ فَاْئِدَةً لِلْمُخَاْطَبِ تَزِيْدُ مَعْلُوْمَاْتِه عَنِ الْمَوْضُوْعِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُ.

وَلَمْ يَجْعَلْهُم هَذَا يَتَغَاْفَلُوْن أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ يُعَبِّرُ عَنْ مَشَاْعِرِهِ وَأَحَاْسِيْسِهِ مِنْ دُوْنَ أَنْ يَحْتَوِي الْكَلَاْمُ فَاْئِدَةً جَدِيْدَةً لِلْمُخَاْطَبِ؛ وَذَلِكَ نَاْبِعٌ مِنْ إِيْمَاْنِ عُلَمَاْئِنَاْ بِأَنَّ اللُّغَةَ قَاْدِرَةٌ عَلَى أَنْ تُعَبِّرَ عَنْ شُعُوْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَحَاْسِيْسِهِ وَلَيْسَ غَاْيَتُهَاْ دَاْئِماً نَقْلَ فَاْئِدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ، وَإِنْ كَاْنَ الْأَصْلُ فِيْهَاْ ذَلِكَ.

أهمية البحث وأسئلتُه:

يَتَنَاْوَلُ هَذَا الْبَحثُ الْكَشْفَ عَنْ ظَاْهِرةٍ تَدَاْوُلِيَّةٍ مُهِمَّةٍ فِي الدِّرَاْسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَهِيَ "مَفْهُوْمُ الْفَاْئِدَةِ"، وَهُوَ بَحْثٌ ذُوْ أَهَمِّيَّةٍ كُبْرَى؛ لِأَنَّهُ يَسْتَهْدِفُ الرَّبْطَ بَيْنَ التُّرَاْثِ الْقَدِيْمِ وَمُعْطَيَاْتِ الْوَاْقِعِ الْحَدِيْثِ، وَهَذَا الْهَدَفُ لَيْسَ نَاْبِعاً مِنْ تَعَصُّبِنَاْ لِلْقَدِيْمِ أَوْ إِعْجَاْبِنَاْ بِالْحَدِيْثِ، وَلَكِنَّهُ نَاْبِعٌ مِنْ إِيْمَاْنِنَاْ بِضَرُوْرَةِ النَّظَرِ إِلَى الْقَدِيْمِ بِمَنْظُوْرٍ حَدِيْثٍ يَسْتَجِيْبُ لِلْحَاْجَةِ الْمُلِحَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَضَرُوْرَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى التُّرَاْثِ الْقَدِيْمِ وَتَنْظِيْمِهِ تَنْظِيْماً يُبْرِزُ مَدَى بَرَاْعَةِ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى فِيْ ضَبْطِ لُغَتِهِم وفقاً لأَبْرَزِ حَقِيْقَةٍ تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّاْتُ الْحَدِيْثَةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

أَمّا الأَسْئِلَةُ الّتي يُحَاوِلُ البَحْثُ الإِجَابَةَ عَنْهَا فَتَتَمَثَّلُ فِي الآتي:

أ- مَا مَعْنَى الفَائِدة؟ وَمَا عَلَاقتُها بِالدَّرْسِ اللُّغَوِيّ؟

ب- كَيفَ تَجَلَّت الفَائِدَةُ فِي الدَّرسِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ القَدِيْمِ؟

ج- مَا مَوْقِفُ البَاحِثِينَ العَرَب المُحْدَثِينَ مِن مَفْهُومِ الْفَاْئِدَةِ؟

د- مَا عَلَاقةُ الفَائِدَةِ بِالتَّوْجِيْهِ النَّحْوِيّ؟

حدود البحث:

يَتَنَاوَلُ البَحْثُ مَفْهُومَ الفَائِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيّ مُتَحَدِّثاً عَنْ دلَالةِ هَذَا المُصْطَلَحِ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً، وَارتِبَاطِهِ بِالنَّظَرِيَّةِ التَّدَاوُلِيَّة، مُفصِّلاً تَنَاوُلَ العُلَماءِ العَرَبِ القُدَامَى هَذا المُصطَلَحَ، وَعَلَاقَتَه بِالقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ، مُشِيراً إِلَى خُرُوْجِ الكَلَامِ عَن الفَائِدَةِ فِي الظَّاهِرِ، مُتَوَقِّفاً عِندَ مَوقِفِ بَعْضِ الْبَاحِثِيْن المُحْدَثِيْن مِن هَذَا الْمُصْطَلَحِ، مُبْرِزاً عَلَاقتَه بِالتَّوجِيه الإِعْرَابِيِّ.

منهجيَّةُ البحثِ:

يُعَدُّ الْمَنْهَجُ الْمُتَّبَعُ جزْءاً مُهِمّاً فِيْ نَجَاْحِ الْأَبْحَاْثِ الْمُنْجَزَةِ؛ لِأَنَّهُ يَضْمَنُ تَنْظِيْمَ الْمَاْدّةِ وَبَيَاْنَهَاْ بَيَاْناً عِلْمِيّاً مَضْبُوْطاً، وَلِهَذَا سَأَتَّبِعُ الْمَنْهَجَ الْوَصْفِيَّ فِيْ رَصْدِ هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ عِنْدَ النُّحَّاْةِ وَإِظْهَاْرِ آرَاْئِهِم فِيْهَاْ، وَمَدَى اعْتِمَاْدِهِم عَلَيْهَاْ فِيْ تَقْعِيْدِ لُغَتِهِمْ، وَتَوْجِيْهِهَاْ تَوْجِيْهاً يَضْمنُ لَهَا الاسْتِمْرَاْرَ وَالْبَقَاْءَ.

- **مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:**

مفهوم الفائدة:

قَبْلَ الْخَوْضِ فِيْ مُفْرَدَاْتِ هَذَا الْبَحْثِ لَا بُدَّ مِنَ الْوُقُوْفِ عَلَى الْمُصْطَلَحِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ لَنَاْ مَجَاْل فَهْمِ هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ، وَمَدَى عَلَاْقَتِهَاْ بِاللُّغَةِ، وَبِنَاْءً عَلَى ذَلِكَ يَكُوْنُ تَأْسِيْسُ مُفْرَدَاْتِ هَذَا الْبَحْثِ وَاْضِحاً جَلِيّاً يَقُوْمُ عَلَى التَّمَاْسُكِ وَالتَّرَاْبُطِ.

الفائدةُ لُغةً:

جَاْءَ فِيْ لِسَاْنِ الْعَرَبِ أَنَّ "الْفَاْئِدَةَ مَاْ أَفَاْدَ اللهُ تَعَاْلَى الْعَبْدَ مِنْ خَيْرٍ يَسْتَفِيْدُهُ وَيَسْتَحْدِثُهُ وَجَمْعُهَاْ فَوَاْئِدُ... وَالنَّاْسُ يَقُوْلُوْنَ: هُمَاْ يَتَفَاْوَدَاْنِ، أَيْ: يُفِيْدُ كُلُّ وَاْحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ[1]".

وَقَدْ جَاْءَتْ كَلِمَةُ الْفَاْئِدَةِ فِي مُعْظَمِ الْمَعَاْجِمِ بِمَعْنَى مَاْ يُسْتَفَاْدُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَاْلٍ، يَقُوْلُ الرَّاْزِي فِيْ مُخْتَاْرِ الصِّحَاْحِ: "الْفَاْئِدَةُ: مَاْ اسْتَفَدْتَهُ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَاْلٍ... وَأَفَدْتُ الْمَاْلَ: أَعْطَيْتُهُ، وَأَفَدْتُهُ: أَيْضاً اسْتَفَدْتُه[2]".

وَمِمّا سَبَقَ نَسْتَنْتِجُ أَنَّ الْفَاْئِدَةَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْعَطَاْءِ وَالانْتِفَاْعِ مِنَ الشَّيْءِ، تَقُوْلُ مَثَلاً: "إِنَّ" تُفِيْدُ التَّوْكِيْدَ أَيْ: تُعْطِي التَّوْكِيْدَ.

([1]): ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج3، ط1، دار صادر، لبنان، د.ت، مادة (فيد).

([2]): الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، مادة (فيد).

الفائدةُ اصطلاحاً:

جَاءَ فِي الكلِّيّاتِ لِلْكَفوِيّ أَنَّ "الفَائِدَةَ اصْطِلاحاً مَا يَتَرَتّبُ عَلَى الشَّيْءِ وَيحْصلُ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ إنّهَا حَاْصِلٌ مِنْهُ[1]"، وَيَرَى أَنَّ الْإِفَادَةَ "تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَعَانِي الْمَفْهُوْمَةِ بِالدِّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ، أَعْنِي الْمَعَانِي الثَّوَانِي، وَهيَ الْخَوَاصُّ وَالْمَزَايَا، وَالدِّلَالَة تُسْتَعْمَلُ فِيما يُفْهَمُ بِالدّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ، أَعْنِي الْمَعَانِي الأُوَلَ الَّتِي هيَ الْوَسَائِلُ إِلَى الْمَعَانِي الثّوَانِي؛ وَالْمَلْحُوْظُ فِي الْإِفَادَةِ جَانب السَّائِلِ، وَفِي الدِّلَالَةِ جَانِب اللَّفْظِ أَو المُتَكَلِّمِ[2]".

وَيَبْدُو مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْفَائِدَةَ هِيَ الْمَعَانِي الثَّوَانِي الَّتِي تُفْهَمُ مِنَ الْمَعَانِي الْأُوَلِ، فَهيَ تَرْتَبِطُ بِالْمَعْنَى التَّدَاْوُلِيّ الَّذِي يُفْهَمُ مِنَ الْمَعَانِي الْوَضْعِيَّةِ، وَهيَ ذَات صِلَةٍ بِالمُخَاطَب.

وَبَعْدَ الاطّلَاعِ عَلَى مَا جَاءَ عِنْدَ الْمُحْدَثِيْنَ يُمْكِنُ أَنْ نَصْطَلِحَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْفَائِدَةِ هُوَ حَاْصِلُ مَاْ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُخَاْطَبُ مِنَ الْخِطَاْبِ الْمُوَجَّهِ إِلَيْهِ، يَقُوْلُ تَمَّاْم حَسَّاْن فِيْ مَعْنَى الْفَائِدَة: "هِيَ الْوُصُوْلُ إِلَى الْمَعْنَى التَّاْمِّ الَّذِي يَحْسُنُ السُّكُوْتُ عَلَيْه[3]"، وَهَذَا التَّعْرِيْفُ يَبْدُو أَنَّهُ لَا يَدلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَاْد وَيَكْتَفِي بِالدّلَالةِ الْأُوْلَى الْمُجتَنَاة مِنْ مَعْنَى الْجُمْلَةِ.

ويستخدمُ الدّكْتُوْرُ مَسْعُوْد صَحْرَاْوِيّ مُصْطَلَحَ الْإِفَاْدَةِ، وَيَرى أَنَّهُ "حُصُوْلُ الْفَائِدَةِ لَدَى الْمُخَاْطَبِ مِنَ الْخِطَاْبِ وَوُصُوْلُ الرِّسَاْلَةِ الْإِبْلَاْغِيَّةِ إِلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِيْ يغْلبُ عَلى الظَّنِّ أَنْ يَكُوْنَ هُوَ مُرَاْدَ الْمُتَكلِّمِ وَقَصْدَهُ وَهِيَ الثَّمرَةُ الَّتِي يَجْنِيْهَا الْمُخَاْطَبُ مِنَ الْخِطَاْبِ[4]".

([1]): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت، ص694.

([2]): المصدر السابق، ص153.

([3]): حسان، تمام، *الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عندَ العرب*، عالم الكتب، مصر، 1420هـ–2004م، ص292.

([4]): صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ: دِرَاْسَةٌ تَدَاْوُلِيَّةٌ لِظَاْهِرَةِ الْأَفْعَاْلِ الْكَلَاْمِيَّةِ فِي التُّرَاْثِ اللِّسَاْنِيِّ الْعَرَبِيِّ*، ط1، دَاْرُ الطَّلِيْعَةِ، بَيْرُوْت، 2005م، ص186.

مفهوم الإفهام والفرق بينه وبين الفائدة:

الإفهامُ لغةً:

يَرْجعُ إِلَى الْفِعْل (أَفْهَمَ)، فَقَد جَاْءَ فِي لِسَاْنِ الْعَرَبِ: "أَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه[1]"، وَجَاْءَ فِي الْمعجم الوَسِيْط: "أفهمَه الأمرَ: أَحْسَنَ تَصْوِيْرَهُ لَهُ[2]".

الإفهام اصطلاحاً:

يَرَى الكَفَوي أَنَّ "الْخِطَاب إِمَّا الْكَلَام اللَّفْظِيّ أَو الْكَلَام النَّفْسِيّ المُوَجَّه نَحْو الْغَيْرِ لِلْإِفْهَاْمِ[3]"، وَهَذَا النَّصُّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْإِفْهَامَ غَايَةٌ مِنْ غَايَاْتِ الْمُتَكَلِّمِ فِي أَثْنَاْءِ الْكَلَاْمِ، فَغَايَةُ الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَتَوَاصَلَ مَعَ مُخاطَبِهِ بِكَلَاْمٍ مَفْهُوْمٍ بَعِيْدٍ عَنْ أَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَاْلِ الْغُمُوْضِ وَاللَّبْسِ، فَهو أَدَاْةٌ مِنْ أَدَوَاْتِ الْمُتَكَلِّمِ لِتَحْقِيْقِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِ بَيْنَه وَبَيْنَ مُخَاطَبِه.

وَمِنْ هُنَا يكْمنُ الفَرْقُ بَيْن الفَائِدةِ وَالإِفْهَاْمِ؛ فَالفَائِدَةُ تَتَّجِهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَهيَ مَاْ يجْنِيه مِنَ الْخِطَاْبِ، وَالْإِفْهَامُ يَتّجِهُ إِلَى الْمُتَكَلِّم الَّذِي يُرْسِلُ كَلَاْمَهُ وَاْضِحَاً مَفْهُوْماً، وَيَبْدُو أَنَّ الْإِفْهَاْمَ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ الْفَاْئِدَةِ عِنْدَ الْمُخَاْطَبِ.

([1]): ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ج12، مادة (فهم).

([2]): مصطفى، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، ج1، دار الدعوة، د. ت، مادة (فهم).

([3]): الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص419.

- **الإطار النظري:**

الفائدة عندَ التداوليِّين[1]:

اِنْبَثَقَ مَفْهُوْمُ الْفَائِدَةِ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ[2] الَّتِي جَاْءَ بِهَا الْفَيْلَسُوْفُ أوسْتِيْن، وَطَوَّرَهَاْ تِلْمِيْذُهُ سيرل، وَالْبَحْثُ فِيْ هَذِهِ النَّظَرِيَّة هُوَ بَحْثٌ فِي مُضْغَةِ الاهْتِمَاْمِ الْأَوَّلِيِّ

([1]): التداولية نظرية حديثة تعني دراسة اللغة في مجال الاستعمال، وهذا يكون بين متكلم ومخاطب في سياق محدد، وتعتمدُ جملةً من المقولات منها:

1- الافتراض المسبق: وهو المعطيات والافتراضات المعترف بها بين المُتكلمين، لتحقيق النجاح في عملية التواصل، ففي الملفوظ الأول: أغلق النافذة وفي الملفوظ الثاني: لا تغلق النافذة، خلفيةُ افتراضٍ مسبقٍ مضمونها أنَّ النافذة مفتوحة.

2- الأقوال المضمرة: هو كتلة المعلومات التي يمكنُ للخطاب أنْ يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع رهنُ خصوصيات سياق الحديث، ومثال ذلك قول القائل: إنَّ السماء ممطرة فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقدُ أنَّ القائل أرادَ أنْ يدعوه إلى المكوث في البيت أو الإسراع إلى عمله قبل أنْ تمطر أو الانتظار والترقُّب.

3- الاستلزام الحواري: بعض الجمل تدل على معنى مُستنتج وهو غير معناها الحرفي، ويتَّضحُ ذلك من خلال الحوار الآتي: - هل عليٌّ في البيت؟ - شاهدْتُ سيارة عليّ تقف عند بائع الخضار في نهاية الشارع.

فالجملة الثانية تدل على معنيين اثنين، الأول حرفي والثاني مستلزم، فمعناها الحرفي أنَّ سيارة علي بعيدة عن البيت، ومعناها المستلزم أنَّ عليّاً ليس في المنزلِ. انظر: *صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص16- 30.

([2]): الفعل الكلامي فحواه أنّه كل ملفوظٍ ينهضُ على نظامٍ شكلي دلالي إنجازي تأثيريّ، وهو يُعدُّ نشاطاً ماديّاً نحوياً يتوسّلُ أفعالاً قوليّة لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية تخصُّ ردودَ فعل المتلقي (كالرفضِ والقبول)، فهو فعلٌ يطمحُ إلى أنْ يكونَ ذا تأثيرٍ في المخاطبِ اجتماعيّاً أو مؤسّساتيّاً ومن ثمّ إنجاز شيءٍ ما، وقسَّمَ أوستين الفعل الكلامي إلى ثلاثةِ أفعال فرعية، هي:

أ- فعل القول (أو الفعل اللغوي): يشتمل على أفعال لغوية فرعيّة هي المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي.

ب- الفعل المتضمّن في القول: وهو القيام بفعل ضمن قول شيءٍ، ومن أمثلته: السؤال وإجابة السؤال وإصدار تأكيدٍ وتحذيرٍ، ووعد، وأمر، وشهادة في محكمة...

لِلتَّدَاْوُلِيَّةِ وَأَساْسٌ مِنْ أَكْبَرِ أُسُسِهَاْ... [1]، ذَلِكَ أَنَّ التَّدَاْوُلِيَّةَ تَهْتَمُّ بِدِرَاْسَةِ اللُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوَاْصُلٍ[2] بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ كَلَاْمٍ أَوْ قَوْلٍ أَنْ يُؤَدِّيَ غَرَضَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْنِيَّاً بِالْمُخَاْطَبِ وَمدَى إِدْرَاْكِهِ لِلْمُعْطَيَاْتِ التَّوَاْصُلِيَّةِ، بِعَدِّ أَنَّ الْخِطَاْبَ كُلَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَدَى اسْتِفَاْدَةِ الْمُتَلَقِّي مِنْ كَلَاْمِ الْمُتَكَلِّمِ، مِمَّا يُثْرِي مَعْلُوْمَاْتِ الْمُتَلَقِّي وَمُدْرَكَاْتِهِ، وَيَجْعَلُهُ يُغَيِّرُ نَظْرَتَهُ تُجَاْهَ الْمَوْضُوْعِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُ، وَبِذَلِكَ تَكُوْنُ الْفَاْئِدَةُ "فِيْ عَلَاْقَةٍ مُبَاْشِرَةٍ بِالنَّتَاْئِجِ التَّدَاْوُلِيَّةِ الَّتِي تَفْرضُ عَلَى الْمُسْتَمِعِ وَفِيْ عَلَاْقَةٍ عَكْسِيَّةٍ بِالنَّزَاْءِ الْإِخْبَاْرِيِّ الَّذِيْ يَحْتَوِيْهَاْ[3]"، فَالْفَاْئِدَةُ أَلْصَقُ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَاْ يُقَدِّمُهُ الْكَلَاْمُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْلُوْمَاْتٍ جَدِيْدَةٍ يَزْدَاْدُ بِهَاْ مَعْرِفَةً.

فالحكمُ على الكلامِ من خلالِ هذا المبدأِ يُعطينا حُكماً صائباً، وَلِهَذَاْ يَقُوْلُ دان سبربر (Dan Sperper) وديردر ولسن (Deirder Wilson): "إِنَّنَاْ نَعْتَرِفُ بِأَنَّ كُلَّ الْأَحْكَاْمِ تَنْضَوِي تَحْتَ مسلَّمَةِ الْإِفَاْدَةِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ دِقَّةً وَصحَّةً مِنَ الْأَحْكَاْمِ الْأُخْرَى[4]".

ج– الفعل الناتج عن القول: قد يكون المتكلّم قائماً بفعل ثالثٍ وهو مجموعة الآثار المترتبة عن الفعل السابق، ومن أمثلته: الإقناع والتضليل والإرشاد والتنبيط... انظر: صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص40–42.

([1]): انظر: صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص5.

([2]): نظرية التواصل تعني أنْ يوجِّهَ المُرسِلُ رسالةً ما إلى المُرسَل إليه من خلالِ أداة اتصالٍ مُعيّنة، مع التشديد على تمكين المرسَل إليه من فهم الرسالة وإدراكها. انظر: جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م، ص27.

([3]): فوراري، تسعديت، *المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م، ص19.

([4]): بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التواصلية*، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م، ص103.

- **عرض البحث والمناقشة والتحليل:**

الفائدة عندَ علماء العرب القدامى:

قَامَ النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ أَسَاسَاتِ اللُّغَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَتْ غَايَتُهُ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ غَرَضَ الْمُتَكَلِّم، وَقَدْ بَرَزَتْ هَذِهِ الْفَائِدَةُ فِيْ جَوَانِبَ عِدَّةً، سَأَقُوْمُ بِتَوضيحِ بعضِها فِيْمَا يَأْتِي:

شروط فائدة الكلام عند النُّحَّاةِ القدامى:

يُعَدُّ الْكَلامُ الْأَدَاةَ الْكُبْرَى الَّتِي يَمْلكُهَا الْمُتَكَلِّمُ لِلتّوَاصُلِ مَعَ مُخَاطَبِهِ، وَنَقْلِ غَرَضِهِ إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُخَاطَبِ الَّذِيْ يَسْعَى إِلَى الْحُصُوْلِ عَلَى الْفَائِدَةِ مِنْ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ.

وَمِنْ أَجْلِ الْحِفَاظِ عَلَى حُصُوْلِ الْفَائِدَةِ لِلْمُخَاطَبِ مِنَ الْكَلَامِ، وَلِإِتْمَامِ عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ، سَعَى النُّحاةُ الْعَرَبُ إِلَى ضَبْطِهِ وَوَضْعِ شُرُوْطٍ لَهُ تَجْعَلُهُ مُفِيْداً، وَتَكْمُنُ هَذِهِ الشُّرُوْطُ الَّتِي تُحَقِّقُ الْفَائِدَةَ فِي الْآتِي:

أَوَّلاً: الإسنادُ:

أَقَامَ النُّحاةُ لُغَتَهُم عَلَى الْإِسْنَادِ الَّذِي يَحْملُ فِيْ أطوائه الْفَائِدَةَ الَّتِي يَرُوْمُ الْمُتَكَلِّمُ وُصُوْلَهَا إِلَى الْمُخَاطَبِ، وَلِهَذَا اعْتَنَوا بِهِ اعْتِنَاءً كَبِيْراً، فَهُوَ عِنْدَهُم يَتَكَوَّنُ مِنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَلَّفَ الْجُمْلَةُ مِنْ غَيْرِهِمَا، فَهُمَا كَمَا يَقُوْلُ سِيْبَوَيْهِ "مَا لَا يَسْتَغْنِي وَاْحِدٌ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ وَلَا يَجِدُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ بُدّاً فَمِنْ ذَلِكَ الاسْمُ الْمُبْتدأُ وَالْمَبْنِي

عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُكَ: عَبْدُ اللهِ أَخُوْكَ، وَهَذا أَخُوْكَ وَمِثْل ذَلِكَ: يَذْهَبُ عَبْدُ اللهِ فَلَاْ بُدَّ لِلْفِعْلِ مِنَ الاسْمِ كَمَاْ لَمْ يَكُنْ لِلاسْمِ الْأَوَّلِ بُدٌّ مِنَ الْآخِرِ فِي الابْتِدَاْءِ[1]".

وَعَلَى هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ النُّحاةَ لَاْ يَعْتَدُّوْنَ بِالْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ لَاْ تَتَحَقَّقُ بِهَاْ، وَإِنَّمَاْ تَتَحَقَّقُ بِالتَّرْكِيْبِ، وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ ابْنُ جِنِّي: "إِنَّ الْكَلَاْمَ إِنَّما وُضِعَ لِلْفَاْئدَةِ، وَالْفَاْئِدَةُ لَاْ تُجْنَى مِنَ الْكَلِمَةِ الْوَاْحِدَةِ، وَإِنَّمَاْ تُجْنَى مِن الْجُمَلِ وَمَدَاْرِجِ الْقَوْلِ[2]".

وَلَعَلَّ هَذَاْ مَاْ دَفَعَ الْجرْجَاْنِيّ إِلَى الْقَوْلِ: "فَالْأَلْفَاْظُ الْمُفْرَدَةُ الَّتِي هِيَ أَوْضَاْعُ اللُّغَةِ لَمْ تُؤْخَذْ لِتُعْرَفَ مَعَاْنِيْهَاْ فِيْ أَنْفُسِهَاْ وَلَكِنْ لِأَنْ يُضَمَّ بَعْضُهَاْ إِلَى بَعْضٍ فَيُعْرَفُ فِيْمَاْ بَيْنَهَاْ فَوَاْئِدُ[3]".

وَبِذَلِكَ يَكُوْنُ النُّحاْةُ أَوَّلَ مَنْ أَشَاْرَ إِلَى هَذِهِ الْفَاْئِدَةِ مِنْ خِلَاْلِ تَعْرِيْفِهِمْ لِلْكَلَاْمِ بِأَنَّهُ: "هُوَ الْقَوْلُ الْمُفِيْدُ بِالْقَصْدِ، وَالْمُرَاْدُ بِالْفَاْئِدَةِ مَاْ دَلَّ عَلَى مَعْنَىً يحْسنُ السُّكُوْتُ عَلَيْهِ[4]".

ثانياً: الْمَعْنَى الدِّلَاْلِيّ:

لَاْ بُدَّ لِلْجُمْلَةِ أَنْ تَحْملَ مَعْنىً دِلَاْلِيّاً مُعَيَّناً يُرَاْدُ إِيْصَاْلُه إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَنْ يُوَاْفِقَ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ، فَلَاْ يُمْكِنُ مَثَلاً أَنْ يُقَاْلَ: أَتَيْتُكَ غَداً، أَو سَآتِيْكَ أَمْسِ، أَو اجْتَمَعَ جَمِيْعُ الْخَلْقِ فِيْ هَذَا الْمَكَاْنِ فَإِنَّ هَذَاْ مُحَاْلٌ إِنْ أُرِيْدَ بِهِ الْحَقِيْقَةُ.

([1]): سيبويه، *الكتاب*، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ–1988م، ص23.

([2]): ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، *الخَصَاْئِص*، تح: محمد علي النجار، د. ط، عالم الكتب بيروت، د. ت، ج2، ص331.

([3]): الجُرْجَاْنِيّ، عَبْدُ القَاْهِر، *دَلَاْئِلُ الْإِعْجَاْزِ*، تح: د. محمد التنجيّ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م، ص391

([4]): الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، تَح: مَاْزِن الْمُبَاْرَك–مُحَمَّد عَلَيّ حَمد الله، مُرَاْجَعَة سَعِيْد الْأَفْغَاْنِيّ، د. ط، دَاْرُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت–لبْنَاْن، 1432هـ–2010م. ص357.

وَأُشِيْرُ هُنَاْ إِلَى أَنَّ كَثِيْراً مِنَ التَّرَاْكِيْبِ تَحْملُ فِي الظَّاْهِرِ مَعْنَى غير منطقي قَدْ يَصِحُّ بِالتَّأْوِيْلِ وَالتَّقْدِيْرِ وَالْحَمْلِ عَلَى الْمَجاْزِ وَالْمُبَاْلَغَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يصْرِفُ الْكَلَاْمَ عَنْ ظَاْهِرِهِ، وَذَلِكَ نَحْو: شَرِبَ الدَّاْرَ وَأَكَلَ الْمَاْءَ بِمَعْنَى بَاْعَ الدَّاْرَ وَشَرِبَ بِثَمَنِهَاْ، وَبَاْعَ الْمَاْءَ وَاشْتَرَى بِثَمَنِهِ مَاْ يَأْكُلُهُ، وَنَحْو: مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَكَ، وَعَانَقَهُ الْأَسَدُ مُتَهَلِّلاً عَلَى سَبِيْلِ الاسْتِعَاْرَةِ، وَنَحْو: أَنْتَ فَضْلٌ، وَمُحَمَّدٌ سَعْيٌ حَثِيْثٌ بِمَعْنَى الْمُبَاْلَغَةِ أَوْ عَلَىْ تَقْدِيْرِ أَنْتَ ذُوْ فَضْلٍ وَهُوَ ذُوْ سَعْيٍ[1].

وَهَكَذَا نَصِلُ إِلَى أَنَّ حُصُوْلَ الْفَاْئِدَةِ لَاْ بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ خِلَاْلِ جُمْلَةٍ مُسْتَقِيْمَةٍ نَحْوِيَّاً وَدِلَاْلِيَّاً سوَاْءٌ أَكَاْنَ هَذَا الْمَعْنَى الدِّلَاْلِيُّ حَقِيْقِيّاً أَمْ مَجَاْزِيّاً.

مظاهر الفائدة عند علماءِ العربِ القدامى:

كَاْنَ عُلَمَاْءُ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى –وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ الْقَوَاْعِدَ وَيَقِفُوْنَ عِنْدَ تَحْلِيْلِ الْجُمَلِ– عَلَى وَعْيٍ تَاْمٍّ بِأَهَمِّيَّةِ حُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ لِلْمُخَاْطَبِ، وَلَكِنَّ إِشَاْرَاْتِهِمْ إِلَى هَذِهِ الظَّاْهِرَةِ كَاْنَتْ أَشْتَاْتاً مُتَفَرِّقَةً فِيْ بُطُوْنِ كُتُبِهِمْ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِيْ ذَلِكَ أَنَّ اهتِمَاْمَهُم كَاْنَ مُنْصَبّاً عَلَى تَقْعِيْدِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ لَاْ عَلَى تَصْنِيْفِ الْكَلَاْمِ وفقاً لهَذِهِ الظَّاْهِرَةِ أَوْ أَمْثَاْلِهَاْ، وَهُنَاْ يَبْرزُ عَمَلُنا فِيْ تَقَصِّي مِثْلِ هَذِهِ الظَّوَاْهِرِ فِيْ كُتُبِهِمْ وَإِعَاْدَةِ تَرْتِيْبِهَاْ تَرْتِيْباً مُنَظَّماً يُبْرِزُ الْمَنْهَجَ الَّذِي اتَّبَعُوْهُ فِيْ تَحْلِيْلِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ وَتَقْعِيْدِهِ.

وَإِذَاْ نَظَرْنَاْ إِلَى أَوَّلِ كِتَاْبٍ وَصَلَ إِلَيْنَاْ نَجِدُ أَنَّ سِيْبَوَيْهِ قَدْ أَشَاْرَ إِلَى أَنَّ التَّعْبِيْرَ يَجِبُ أَنْ يَحْملَ فَاْئِدَةً جَدِيْدَةً لِلمُخَاْطَبِ، وَعَلَيْهِ يُدْخِلُ التَّعْبِيْرَ الَّذِيْ لَاْ فَاْئِدَةَ فِيْهِ لِكَوْنِهِ مُبْتَذَلاً مَعْلُوْماً لِكُلِّ أَحَدٍ، فِيْ بَاْبِ اللَّغْوِ وَاللَّحْنِ، يَقُوْلُ فِيْ بَاْبِ الْإِخْبَاْرِ عَنِ النَّكِرَةِ بِالنَّكِرَةِ: "وَذَلِكَ قَوْلكَ: مَاْ كَاْنَ أَحَدٌ مِثْلَكَ وَمَاْ كَاْنَ أَحَدٌ خَيْراً مِنْكَ وَمَاْ كَاْنَ أَحَدٌ مُجْتَرِئاً عَلَيْكَ، وَإِنَّمَاْ حَسُنَ

([1]): انظر: السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ط1، دار حزم، بيروت، 1421هـ–2000م، ص11.

الْإِخْبَارُ هَهُنَاْ عَنِ النَّكِرَةِ حَيْثُ أَرَدْتَ أَنْ تَنْفِيَ أَنْ يَكُوْنَ فِيْ مِثْلِ حَالِهِ شَيْءٌ أَوْ فَوْقَهُ؛ لِأَنَّ الْمُخَاْطَبَ قَدْ يَحْتَاْجُ إِلَى أَنْ تُعْلِمَهُ مِثْلَ هَذَا، وَإِذَاْ قُلْتَ: كَاْنَ رَجُلٌ ذَاْهِباً، فَلَيْسَ فِيْ هَذَاْ شَيْءٌ تُعِلمُهُ كَاْنَ جَهِلَه، وَلَو قُلْتَ كَاْنَ رَجُلٌ مِنْ آلِ فُلَاْنٍ فَاْرِساً حَسُنَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَحْتَاْجُ إِلَى أَنْ تُعْلِمَه أَنّ ذَلِكَ فِيْ آلِ فُلَاْنٍ وَقَدْ يَجْهلُه وَلَوْ قُلْتَ كَاْنَ رَجُلٌ فِيْ قَوْمٍ عَاْقِلاً لَمْ يَحْسُنْ؛ لِأَنَّهُ لَاْ يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُوْنَ فِي الدُّنْيَاْ عَاْقِلٌ وَأَنْ يَكُوْنَ مِنْ قَوْمٍ، فَعَلَى هَذَا النَّحْوِ يَحْسُنُ ويَقْبُحُ[1]".

فَالْحُسْنُ وَالْقُبْحُ فِي الْكَلَاْمِ مُرْتَبطان بِحُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ لِلمُخَاْطَبِ، وَهَذَا يُبْرِزُ ظَاْهِرةً تَوَاْصُلِيَّةً قَاْمَ عَلَيْهَا النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ، وَهِيَ أَنَّ الْهَدَفَ الرَّئِيْسَ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ هُوَ إِفَاْدَةُ الْمُخَاْطَبِ مَاْ لَيْسَ عِنْدَهُ أَوْ إِعْطَاْؤُه مَعْلُوْمَاْتٍ لَمْ يسبقْ لَهُ مَعْرِفَتَهَاْ.

وَقَدْ أَشَاْرَ ابْنُ جِنِّي إِلَى عَلَاْقةِ الصّحَّةِ الْقَوَاْعِدِيَّةِ بِإِفَاْدَةِ الْمُخَاْطَبِ عِنْدَمَاْ قَاْلَ: "أَلَا تَرَاْكَ لَوْ قُلْتَ: وَرَدْنَا الْبصْرَةَ فَاْجْتَزْنَا بِالأُبُلّةِ عَلَى رَجُلٍ أَوْ رَأَيْنَاْ بسْتَاْناً وَسَكَتَ لَمْ تُفِدْ بِذَلِكَ شَيْئاً؛ لِأَنَّ هَذَاْ وَنَحْوه مِمَّاْ لَاْ يَعْرَى مِنْهُ ذَلِكَ الْمَكَاْنُ، وَإِنَّمَا الْمُتَوَقَّعُ أَنْ تَصفَ مَنْ ذَكَرْتَ أَوْ مَاْ ذَكَرْتَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَلفْتَ عِلْمَ مَاْ لَمْ تدللْ عَلَيْهِ، وَهَذَاْ لَغْوٌ مِنَ الْحَدِيْثِ وَجَوْرٌ فِي التَّكْلِيْفِ[2]"

فَالْجُمَلُ الَّتِي ذَكَرَهَاْ ابْنُ جِنِّي "صَحِيْحَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّرَاْكِيْبِ إِلَّا أَنَّ الاسْمَ الَّذِيْ فِيْ آخِرِهَاْ (رجل–بستاناً) كَاْنَ نَكِرَةً وَبِخُلُوِّهِ مِنَ الْوَصْفِ لَاْ تَكُوْنُ قَدْ أَفَدْتَ السَّاْمِعَ شَيْئاً كَاْنَ يَجْهلُهُ إِذْ لَاْ يُسْتَنْكَرُ أَنْ يَكُوْنَ بالأُبُلّةِ رَجُلٌ أَوْ بسْتَاْنٌ وَلَوْ جِئْتَ بِالصّفَةِ لَكَاْنَ قَوْلكَ مُفِيْداً

([1]): سيبويه، *الكتاب*، ج1، ص54.

([2]): ابن جني، عثمان، *الخصائص*، ج2، ص 371.

كَأَنْ تَقُوْل: عَلَى رَجُلٍ كَرِيْمٍ أَوْ بَخِيْلٍ، وَرَأَيْنَا بسْتَاْناً صَغِيْراً أَوْ كَبِيْراً أَوْ قَلِيْلَ التَّمْرِ أَوْ كَثِيْرَ التَّمْرِ، وَعِنْدَئِذٍ يَكُوْنُ التَّرْكِيْبُ صَحِيْحاً وَالْمَعْنَى صَحِيْحاً مُفِيْداً[1]".

وَقَدْ كَاْنَ عَبْدُ الْقَاْهِرِ الْجرْجَاْنِيّ يَتَوَخَّى الْفَاْئِدَةَ الَّتِيْ تَتَرَتَّبُ عَلَى الاسْتِعْمَاْلِ الصَّحِيْحِ لِوُجُوْهِ كُلِّ بَاْبٍ نَحْوِيٍّ وَفُرُوْقِهِ[2]، فَأَيُّ وَجْهٍ يُقدِّمُ الْفَاْئِدَةَ أَكْثَرَ هُوَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْبَلَاْغَةِ، وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْإِعْجَاْزِ، وَذَلِكَ نَحْو قَوْلِهِ تَعَاْلَى: **{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}**[3] وَلَوْ قُلْتَ "وَجَعَلُوا الْجنّ شُرَكَاْءَ لله" لَفَسُدَ الْمَعْنَى عَمَّا فِي الْآيَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ أَفَاْدَتْ إِنْكَاْرَ أَنْ يَكُوْنَ للهِ شُرَكَاْءَ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ فَقَاْلَ وَجَعَلُوا لله شُرَكَاْءَ ثمَّ بَيَّن الشّرَكَاْءَ فَقَاْلَ الْجِنّ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ وَلَوْ قَاْلَ وَجَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاْءَ للهِ لَمَاْ أَفَاْدَ إِنْكَاْرَ أَنْ يَكُوْنَ للهِ شُرَكَاْءَ وَإِنَّمَاْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُوْنَ الْجِنُّ شُرَكَاْءَ للهِ فَلَو كَاْنَ غَيْرُهُم شَرِيْكاً لَهُ لَمْ يسْتَنْكرْ ذَلِكَ[4].

أمَّا السَّكّاكي وَهُوَ وَاْحِدٌ مِنْ أَظْهَرِ الْبَلَاْغِيِّيْنَ الْعَرَبِ الَّذِيْنَ تَجَلَّتْ فِيْ كِتَاْبَاْتِهِم مَلَاْمِحُ الدَّرْسِ التَّدَاْوُلِيِّ الْحَدِيْثِ، فَقَد اهْتَمَّ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَدَى تَقْدِيْمِ الْخِطَاْبِ الْفَاْئِدَةَ لَهُ، وَبِالْمَقَاْمَاْتِ الَّتِي يتمُّ عَبْرَهَا الْوُصُوْلُ إِلَى الْفَاْئِدَةِ، وَيَبْدُو ذَلِكَ جَلِيّاً مِنْ خِلَاْلِ اهْتِمَاْمِهِ بِفِكْرَةِ الْمَقَاْمِ، فَهُوَ "الَّذِيْ يَضْمنُ سَلَاْمَةَ الْمَعْنَى وَتَحْقِيْقَ الْفَاْئِدَةِ لَدَى السَّاْمِعِ[5]".

فَالْإِفَاْدَةُ عِنْدَ السَّكَّاكي هِيَ الَّتِي تَمْنحُ الْعَمَلَ الْأَدَبِيَّ قِيْمَةً، وَأَيُّ كَلَاْمٍ لَاْ يُقَدِّمُ فَاْئِدَةً دِلَاْلِيَّةً لِلسَّاْمِعِ فَهُوَ كَلَاْمٌ يَدخُلُ ضمْنَ قَاْئِمَةِ اللَّغْوِ وَالْعَبَثِ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "مِنَ الْمَعْلُوْمِ

([1]): النعيمي، د. حسان سعيد، *ابن جني عالم العربية*، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م، ص176.

([2]): انظر: عبد اللطيف، د. محمد حماسة، *العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث*، الكويت، 1983م، ص113

([3]): الأنعام: 100/6 .

([4]): الجُرْجَاْنِيّ، عَبْدُ القَاْهِر، *دَلَاْئِلُ الْإِعْجَاْزِ*، ص221

([5]): لهويمل، باديس، *السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية*، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013م، ص167.

أَنَّ حكْمَ الْعَقْلِ حَالَ إِطْلَاقِ اللِّسَانِ، هُوَ أَنْ يُفْرِغَ الْمُتَكَلِّمُ فِيْ قَالَبِ الْفَائِدَةِ مَا يَنْطِقُ بِهِ تَحَاشِياً عَنْ وَصْمَتِهِ اللَّاغِيَةِ[1]".

وَقَد أَوْجَبَ السَّكَّاكيُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يُرَاْعِيَ حَالَ مُخَاْطَبِهِ بِمَاْ يشْملُهُ مِنْ مسْتَوَىً عَقْلِيٍّ وَاجْتِمَاْعِيٍّ وَثَقَاْفِيٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ كَيْ يَضمَنَ حُصُوْلَ الْمُخَاْطَبِ عَلَى الْفَاْئِدَةِ مِنَ الْكَلَاْمِ وَيَضمَنَ وُصُوْلَ قَصْدِه لَهُ، يَقُوْلُ: "فَإِذَا انْدَفَعَ فِيْ كَلَاْمِهِ مُخْبِراً لَزِمَ أَنْ يَكُوْنَ قَصْدُهُ فِيْ حُكْمِهِ بِالْمُسْنَدِ لِلمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِيْ خَبَرِهِ ذَاْكَ، إِفَاْدَتَه لِلْمُخَاْطَبِ، مُتَعَاْطِياً مَنَاْطَهَاْ بِقَدرِ الاقْتِقَاْرِ[2]".

لَقَدْ وَضعَ السَّكَّاكي فِيْ قَوْلِهِ "مُتَعَاْطِياً مَنَاْطَهَاْ بِقَدرِ الاقْتِقَاْرِ" قَاْنُوْناً يُضَاْهِي بِهِ مَاْ وَصلَتْ إِلَيْهِ النَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيْثَةُ إِذْ إِنَّ إِفَاْدَةَ الْمُخَاْطَبِ تَكُوْنُ بِمِقْدَاْرِ حَاْجَتِهِ وَحَاْلِهِ، وَهَذَا مَاْ يُقَاْرِبُ مَاْ سَمَّاْهُ غَرَاْيس مَبْدَأَ الْكَمِّ، وَذَلِكَ ضمْن مَبْدَئِهِ التَّدَاْوُلِيِّ مَبْدَأَ التَّعَاْوُنِ الَّذِيْ فَحْوَاْهُ: * لِتَكُنْ إِفَاْدَتَكَ عَلَى قَدْرِ حَاْجَتِهِ. * لَاْ تَجْعَل إِفَاْدَتَكَ تَتَعَدَّى الْقَدرَ الْمَطْلُوْبَ[3].

وَقَد وَعَى ابنُ يَعِيْشَ هَذَا الْمَبْدَأَ وَعْياً جَعَلَهُ يَربطُ بِنَاْءَ الْقَاْعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ بِهِ رَبْطاً وَثِيْقاً يَعْكسُ مَدَى وَعْيِ الْعُلَمَاْءِ الْقُدَاْمَى تَوَاْصُلِيَّةَ اللُّغَةِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَنِ الْفَاْئِدَةِ الْحَاْصِلَةِ لِلمُخَاْطَبِ مِنْ مَجِيْءِ الْمُبْتَدَاْ وَالْخَبَرِ مَعْرِفَتَيْنِ، يَقُوْلُ: "فَتَقُوْلُ: زَيْدٌ أَخُوْكَ أَيْ: هَذَا الَّذِي عَرَفْتَهُ هُوَ أَخُوْكَ الَّذِيْ كُنْتَ عَلِمْتَهُ فَتَكُوْنُ الْفَاْئِدَةُ فِي اجْتِمَاْعِهِمَاْ، وَذَلِكَ الَّذِي اسْتَفَاْدَهُ الْمُخَاْطَبُ فَمَتَى كَاْنَ الْخَبَرُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةً كَاْنَتِ الْفَاْئِدَةُ فِيْ مَجْمُوْعِهِمَاْ، فَإِنْ كَاْنَ

([1]): السكاكي، *مفتاح العلوم*، ضبطه وعلَّقَ عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ–1987م، ص170.

([2]): *المصدر السابق*، ص170.

([3]): صَحْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص33–34.

يَعْرِفُهُمَاْ مُجْتَمِعَيْنِ لَمْ يَكُنْ فِي الْإِخْبَاْرِ فَاْئِدَةٌ، وَكَذَلِكَ إِذَاْ قُلْتَ: زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ، فَالْمُخَاْطَبُ يَعْرِفُ زَيْداً وَيَعْرِفُ أَنَّ شَخْصاً انْطَلَقَ وَلَاْ يَعْلَمُ أَنَّهُ زَيْدٌ[1]".

وَبِذَلِكَ نَصِلُ إِلَى أَنَّ عُلَمَاْءَنَاْ نَظَرُوْا إِلَى اللُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوْصِيْلِ مَقَاْصِدِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْمُخَاْطَبِ فِيْ مَوْقِفٍ مَقَاْمِيٍّ مُحَدِّدٍ؛ الْأَمْرُ الَّذِيْ جَعَلَهُمْ يَهْتَمُّوْنَ بِالْمُخَاْطَبِ وَمَدَى تَقْدِيْمِ الْفَاْئِدَةِ لَهُ لِكَيْلَا يَدْخلَ الْكَلَاْمُ فِيْ دَاْئِرَةِ الْعَبَثِ وَاللَّغْوِ، فَرَأَوْا أَنَّ "أَصْلَ الْكَلَاْمِ موضوعٌ لِلْفَاْئِدَةِ[2]"، وَأَكَّدُوا أَنَّ "الْكَلَاْمَ إِنَّمَاْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَاْئِدَةِ فِيْ حَقِيْقَتِهِ وَمَجَاْزِهِ[3]"، وَأَنَّهُ "إِذَاْ لَمْ تَتَعَلَّق اللَّفْظَةُ الْمُسْتَعَاْرَةُ بِفَاْئِدَةٍ فِي النّطْقِ فَلَاْ وَجْهَ لِاسْتِعَاْرَتِهَا[4]".

القواعد المنبثقة من مبدأ الفائدة:

حَاْوَلَ الْعُلَمَاْءُ الْعَربُ أَنْ يَضعُوا لِلْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ قَوَاْعِدَ مُحَدَّدَةً بُغْيَةَ تَعْلِيْمِ اللُّغَةِ لِلْأَعَاْجِمِ، وَخَوْفاً عَلَى الْقُرْآنِ مِنَ اللَّحْنِ، وَقَدْ آمَنُوْا –وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ الْكَلَاْمَ الْعَرَبِيِّ– إِيْمَاْناً صَاْدِقاً أَنَّ هَذِهِ الْقَوَاْعِدَ لَاْ بُدَّ أَنْ تَنْطَلِقَ مِنَ الْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ لِلُّغَةِ بِوَصْفِهَاْ أَدَاْةَ تَوَاْصُلٍ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَأَوَّلُ مَاْ رَسخَ فِي أَذْهَاْنِهِم أَنَّ النَّحْوَ أَدَاْةُ تَوْصِيْلِ أَغْرَاْضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى السَّاْمِعِ، وَعَلَى هَذَا اشْتَرَطُوْا الْفَاْئِدَةَ صَرَاْحةً فِيْ بَعْضِ الْقَوَاْعِدِ الَّتِيْ وَضَعُوْهَاْ لِضَبْطِ الْكَلَاْمِ.

([1]): ابن يعيش، *شرح المفصل*، تح: إميل يعقوب، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ–2001م، ص247.

([2]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، تح: عبد الحسين الفتلي، ج1، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ص66.

([3]): الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تح: أحمد صقر، ج1، ط4، دار المعارف، ص201.

([4]): *المصدر السابق*، ج1، ص201.

وَلَا أَدَّعِي هُنَا أَنَّني سَأَقُوْمُ بِعَمَلِيَّةِ إِحْصَاْءٍ كُلِيٍّ لِلْقَوَاْعِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ، بَلْ سَأَكْتَفِي بِذِكْرِ بَعْضِ الْقَوَاْعِدِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْعَربَ قَدْ أَخْرَجُوْا قَوَاْعِدَهُم عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ التَّوَاْصُلِيِّ، وَإِلَيْكَ بَعْضَهَاْ:

1_ اشْتَرَطَ النُّحـاْةُ مُتَقَدِّمُوْهُم وَمُتَأَخِّرُوْهُم فِـي الْمُبْتَدَأِ أَنْ يَكُوْنَ مَعْرِفَـةً، وَذَلِكَ "لِأَنَّـهُ مَحْكُوْمٌ عَلَيْهِ، وَالْحكْمُ عَلَى الشَّـيْءِ لَاْ يَكُوْنُ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ[1]"، وَلَاْ يَكُوْنُ الْمُبْتَدَأُ نَكِرَةً إِلَّا إِذَاْ حَصلَتِ الْفَاْئِدَةُ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ ابنُ السَّرَّاْجِ، فَقَاْلَ:" وَجُمْلَـةُ هَذَا أَنَّـهُ إِنَّمَاْ يُنْظَرُ إِلَى مَاْ فِيْـهِ فَاْئِدَةٌ، فَمَتَى كَاْنَتْ فَاْئِدَةً بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوْهِ فَهُوَ جَاْئِزٌ وَإِلَّا فَلَا[2]".

وَهَكَذَا لَمْ يُعَوِّل الْمُتَقَدِّمُوْنَ فِيْ ضَاْبِطِ الابْتِدَاْءِ بِالنَّكِرةِ إِلَّا عَلَى حُصُوْلِ الْفَاْئِدَةِ، وَرَأَى الْمُتَأَخِّرُوْنَ أَنَّ الْوُصُوْلَ إِلَى مَوْطِنِ الْفَاْئِدَةِ لَيْسَ بِالسَّـهْلِ؛ وَلِذَلِكَ حَاْوَلُوْا تَتَبُّعَهَاْ، والإحاطـة بالمواطن التي يجوزُ فيها الابْتِدَاْءُ بِالنَّكِرَةِ[3].

2_ لَاْ يَجُوزُ تَوْكِيْدُ النَّكِرةِ إِلَّا إِذَاْ كَاْنَ تَوْكِيْدُهَاْ مُفِيْداً، وَتَتَحَقَّقُ اسْتِفَاْدَتُهَاْ مِنَ التَّوْكِيْدِ بِشَرْطَيْنِ[4]:

أَوّلهُمَاْ: دِلَاْلَتهَاْ عَلَى زَمَنٍ مَحْدُوْدٍ بِابْتِدَاْءٍ وَانْتِهَاْءٍ مُعَيَّنَيْنِ مَعْرُوْفَيْن، كَيَـوْمٍ وَأُسْبُوْعٍ، وَشَـهْرٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ مَعْلُوْمِ الْمِقْدَاْرِ؛ كَدرْهمٍ، وَدِيْنَاْرٍ.

([1]): ابن الحاجب، *الإيضاح في شرح المفصل*، تح: إبراهيم محمد عبد الله، ج1، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1425هـ–2005م، ص149.

([2]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص59.

([3]): انظر: الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَاْرِيْبِ*، ص439. وانظر: الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، بعناية: د. كوكب ديب دياب، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس–لبنان، 2004م، ص352.

([4]): انظر: حسن، عباس، *النحو الوافي*، ج3، ط1، آوند دانش، مصر، 1425هـ–2004م، ص 522.

وَثَانِيْهِمَاْ: أَنْ يَكُوْنَ لَفْظُ التَّوْكِيْدِ مِنْ أَلْفَاْظِ الْإِحَاْطَةِ وَالشُّمُوْلِ؛ تَقُوْلُ: عَملْتُ يَوْماً كُلَّه، وَسَاْفَرْتُ أُسْبُوْعاً جَمِيْعَهُ، وَتَنَقَّلْتُ شَهْراً عَاْمَّتَهُ... وَتَبَرَّعْتُ بِدِيْنَاْرٍ كُلِّه... وَكَقَوْلِ الشَّاْعِرِ[1]:

لكنَّهُ شاقهُ أنْ قيل ذا رجَبُ يا ليت عِدَّةَ حَوْل كُلِّهِ رجَبُ

وَعَلَى أَسَاْسِ مَاْ تَقَدَّمَ لَاْ يُقَاْلُ: "صمْتُ دَهْراً كُلَّه"؛ لِأَنَّه مُبْهَمٌ غَيْرُ مُحَدَّدِ الْوَقْتِ، وَلَاْ "سرْتُ شَهْراً نَفْسَه"؛ لِأَنَّه مُؤَكَّدٌ بِمَاْ لَاْ يُفِيْدُ الشُّمُوْلَ.

3_ وَمِنْ أَحَدِ شُرُوْطِ إِنَاْبَـة الظَّرْفِ وَالْجَـاْرِ وَالْمَجْرُوْرِ وَالْمَصْدَرِ عَنِ الْفَاْعِلِ عِنْدَ النُّحَاْةِ؛ الْإِفَاْدَةُ[2].

وَتَحصلُ إِفَاْدَةُ الظَّرْفِ بِاخْتِصَاْصِهِ وَاخْتِصَاْصُهُ يَكُوْنُ بِوَصْفٍ، نَحْو: جُلِسَ مجْلسٌ مُفِيْدٌ، أَو إِضَاْفَةٍ، نَحْو: سُهِرَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَوْ بِالْعَلَمِيَّةِ، نَحْو: صِيمَ رَمضَاْنُ.

وَإِفَاْدَةُ الْمَصْدَرِ تَحصلُ بِاخْتِصَاْصِهِ بِوَصْفٍ نَحْو: وُقِفَ وُقُوْفٌ طَوِيْلٌ، أَوْ بِإِضَاْفَةٍ نَحْو: سِيْر سَيْرُ الصَّاْلِحِيْن، أَوْ بِبَيَاْنِ الْعَدَدِ نَحْوَ: نُظِرَ فِي الْأَمْرِ نَظْرَتَاْنِ.

أَمَّا الْجَـاْرُ وَالْمَجْرُوْرُ فَإِفَاْدَتُـهُ تَكُوْنُ أَيْضـاً بِاخْتِصَاْصِـهِ، وَذَلِكَ بِـأَنْ يَكُـوْنَ مَوْصُـوْفاً نَحْو: جِيْءَ بِرَجُلٍ كَرِيْمٍ، أَوْ مُضَاْفاً نحو: جُلِسَ فِيْ دَاْرِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُعَرَّفاً نَحْو: مُرَّ بزيدٍ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الظَّرْفُ أَو الْجَاْرُ وَالْمَجْرُوْرُ أَوِ الْمَصْدَرُ مُفِيْداً فَلَاْ يَنُـوْبُ عَنِ الْفَاْعِلِ نَحْوَ: وُقِفَ زَمَاْنٌ، وَضُرِبَ ضَرْبٌ وَ جُلِسَ فِي دَاْرٍ.

([1]): قائله: عبد الله بن مسلم الهذلي. انظر: الأَنْصَاْرِيُّ، جَمَاْلُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَاْمٍ، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت، ص292.

([2]): انظر: ابن عقيل، بهاء الدين، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت، ص99–100. الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، ص348–349.

4_ "لَاْ يَسْتَثْنَى إِلَّا مِنْ مَعْرِفَةٍ أَوْ نَكِرَةٍ مُفِيْدَةٍ، فَلَاْ يُقَاْلُ "جَاْءَ قَوْمٌ إِلَّاْ رَجُلاً مِنْهُم"، وَلَاْ "جَاْءَ رِجَاْلٌ إِلَّاْ خَاْلِداً"، فَإِنْ أَفَاْدَتِ النَّكِرَةُ جَاْزَ الاسْتِثْنَاْءُ مِنْهَاْ، نَحْو: "جَاْءَنِي رِجَاْلٌ كَاْنُوا عِنْدَكَ إِلَّا رَجُلاً مِنْهُم"، وَنَحْو "مَاْ جَاْءَ أَحَدٌ إِلَّا سَعِيْداً"، قَاْلَ تَعَاْلَى **{فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}**[1].

وَتَكُوْنُ النَّكِرَةُ مُفِيْدَةً إِذَاْ أُضِيْفَتْ، أَو وُصِفَتْ، أَوْ وَقَعَتْ فِيْ سِيَاْقِ النَّفْيِ أَوِ النَّهْيِ أَوِ الاسْتِفْهَاْمِ.

وَكَذَاْ لَاْ يُسْتَثْنَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ نَكِرَةٌ لَمْ تُخَصَّصْ، فَلَاْ يُقَاْلُ "جَاْءَ الْقَوْمُ إِلَّا رَجُلاً". فَإِنْ تُخصِّصَتْ جَاْزَ، نَحْوَ: "جَاْءَ الْقَوْمُ إِلَّا رَجُلاً مِنْهُمْ، أَوْ إِلَّا رَجُلاً مَرِيْضاً، أَوْ إِلَّا رَجُلَ سُوْءٍ[2]".

وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ ابْنُ السَّرَّاْجِ: "وَلَاْ يَجُوْزُ أَنْ تَسْتَثْنِي النَّكِرَةَ مِنَ النَّكِرَاْتِ فِي الْمُوْجِبِ لَاْ تَقُوْلُ: جَاْءَنِي قَوْمٌ إِلَّاْ رَجُلاً؛ لِأَنَّ هَذَاْ لَاْ فَاْئِدَةَ مِن اسْتِثْنَاْئِهِ فَإِنْ نَعَتَّهُ أَو خَصَصْتَهُ جَاْزَ وَهَذَا امْتِنَاْعُهُ مِنْ جِهَةِ الْفَاْئِدَةِ فَمَتَى وَقَعَتِ الْفَاْئِدَةُ جَاْزَ[3]".

وَهُنَاْ تكمنُ ضرورةُ ارْتِبَاْطِ الْقَوَاْعِدِ النَّحْوِيَّةِ بِالْمَوَاْقِفِ الاسْتِعْمَاْلِيَّةِ الَّتِي تَجْرِيْ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ فطْنَةَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى فِيْ إِرْسَاْءِ قَوَاْعِدِهِمْ عَلَى أَسَاْسِ تَوَاْصُلِيَّةِ اللُّغَةِ؛ الْأَمْرُ الَّذِيْ يَضْمنُ لِقَوَاْعِدِهِم التَّطَوُّرَ وَالْحَيَوِيَّةَ تَبَعاً لِمَا يَسْتَجِدُّ مِنْ أُمُوْرٍ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

([1]): العنكبوت: 14/29.

([2]): الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، ص499.

([3]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص 284.

خروج الكلامِ عن الفائدةِ في الظاهر:

مَـعَ تَأْكِيْدِ الْعُلَمَـاْءِ الْعَرَبِ الْقُدَاْمَى أَهَمِّيَّـةَ إِفَـاْدَةِ الْمُخَاْطَـبِ، تَنَبَّهُوا إِلَـى أَنَّ الْكَـلَاْمَ قَدْ يَخْرُجُ فِي دِلَاْلَاْتِهِ عَلَى إِفَاْدَةِ الْمُخَاْطَبِ، وتكون الفائدةُ عائدةً إلى المُتكلّم، وَذَلِكَ حِيْن يُعَبِّرُ الْمُتَكَلِّمُ فِيْ كَلَاْمِهِ عَنْ هَمسَاْتِ نَفْسِهِ وَخَلجَاْتِ وجْدَاْنِهِ، وَيفْصحُ عَمَّا فِيْ دَاْخِلِهِ مِنْ شُعُوْرٍ وَمَعَاْنٍ كَالتَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيْمِ وَالسّرُوْرِ وَالْحزْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقُوْلَ لِشَخْصٍ: الدُّنْيَاْ حَاْرَّةٌ أَوِ النَّهَاْرُ طَوِيْلٌ أَوِ السَّمَاْءُ صَاْفِيَةٌ، وَهُوَ يَعْلَمُ ذَاْكَ وَيَرَاْهُ وَيَشْعُرُ بِهِ فَيَقُوْلُ لَكَ: نَعَم[1].

وَنَحْو ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَاْلَى عَلَى لِسَاْنِ امْرَأَةِ عمْرَاْن: {**رَبِّ إِنِّـي وَضَعْتُهَا أُنْثَـى**}[2]، فَلَيْسَ الْغَرَضُ تَقْدِيْمَ الْفَاْئِدَةِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاْطَبَ هُوَ اللهُ سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَى الَّذِيْ يَعْلَمُ كُلَّ شَـيْءٍ، وَلَكِنَّ الْخَبَرَ فِي الْآيَةِ يُشْعِرُنَاْ بِانفِعَاْلَاْتِ الْأَسَى وَالْحَسْرَةِ الَّتِي سَيْطَرَتْ عَلَى قَلْبِ امْرَأَةِ عِمْرَاْن فَقَدْ كَاْنَتْ تَأْمَلُ فِيْ وَلَدٍ تَهِبُهُ اللهَ، فَلَمَّا وَضَـعَتْ أُنْثَى ذَاْبَتْ نَفْسُهَاْ حَسرَاْتٍ؛ لِأَنَّها خَشِيَتْ أَلَّا يَتَقَبَّلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[3].

وَقَدْ يَكُوْنُ غَرَضُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَاْمِـه أَنْ يَتَبَرَّكَ بِذِكْرٍ أَوْ تَسْبِيْحٍ طَلَباً لِثَوَاْبٍ وَنَحْوه، وَذَلِكَ مثل قَوْلِكَ: لَاْ إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَسُبْحَاْنَ الْحَـيِّ الَّذِيْ لَاْ يَمُوْتُ، أَوْ أَيُّهَا الْقَمَرُ رَبِّـي وَرَبُّكَ اللهُ، أَوْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيْرٍ، يَقُوْلُ ابْنُ السّرَّاْجِ فِي الْأُصُوْلِ: "فَإِنْ قَاْلَ قَاْئِلٌ: فَأَنْتَ تَقُوْلُ: اللهُ رَبُّنَاْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّنَاْ، وَهَذَاْ مَعْلُوْمٌ مَعْرُوْفٌ قِيْلَ لَهُ: هَذَاْ إِنَّمَاْ هُوَ مَعْرُوْفٌ عِنْدَنَاْ وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِنَّمَاْ نَقُوْلُهُ رَدّاً عَلَـى الْكُفَّاْرِ وَعَلَـى مَنْ لَاْ يَقُوْلُ بِـهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَاْ مُخَاْلِفٌ عَلَـى هَذَا الْقَوْلِ لَمَاْ قِيْلَ إِلَّا فِي التَّعْظِيْمِ وَالتَّحْمِيْدِ لِطَلَبِ الثَّوَاْبِ بِـهِ فَإِنَّ الْمُسَبِّحَ يُسَبِّحُ وَلَيْسَ يُرِيْدُ أَنْ يُفِيْدَ أَحَداً شَيْئاً وَإِنَّمَاْ يُرِيْدُ أَنْ يَتَبَرَّرَ وَيَتَقَرَّبَ إِلَـى اللهِ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَبِذَلِكَ أَمَرَنَاْ وَتَعَبَّدَنَاْ

([1]): انظر: السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ص8.

([2]): آل عمران: 36/3.

([3]): انظر: طبل، حسن، *علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم*، ط2، مكتبة الإيمان، مصر، 1425هـ–2004م، ص48.

وَأَصْلُ ذَلِكَ الاعْتِرَافِ بِمَنِّ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنْ عَرَّفَهُ نَفْسَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى مَنْ لَاْ يَعْرِفُ ذَلِكَ وَأَصْلُ الْكَلَاْمِ مَوْضُوْعٌ لِلْفَاْئِدَةِ وَإِن اتَّسَعَتِ الْمَذَاْهِبُ فِيْهِ وَلَكِنْ لَوْ قَاْلَ قَاْئِلٌ: النَّاْرُ حَاْرَّةٌ وَالثَّلْجُ بَاْرِدٌ لَكَاْنَ هَذَاْ كَلَاْماً لَاْ فَاْئِدَةَ فِيْهِ وَإِنْ كَاْنَ الْخَبَرُ فِيْهِمَاْ نَكِرَة[1]".

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْعَرَبَ الْقُدَاْمَى قَدْ عَرَفُوا طَبِيْعَةَ اللُّغَةِ، وَارْتِبَاْطَهَاْ بِكُلٍّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَأَعْطَوا هَذَا حَقَّه فِي التَّعْبِيْرِ عَن انفِعَاْلَاْتِهِ وَشُعُوْرِهِ وَإِحْسَاْسَاْتِهِ، وَذَاْكَ حَقَّهُ فِيْ تَقْدِيْمِ الْمَعْلُوْمَاْتِ وَالْفَوَاْئِدِ لَهُ بِمَاْ يَضْمنُ لِقَوَاْعِدِهِم أَنْ تَكُوْنَ قَاْدِرَةً عَلَى اسْتِيْعَاْبِ الْإِنْسَاْنِ وَتَطَوُّرِهِ فِيْ كُلِّ زَمَاْنٍ وَمَكَاْنٍ.

الفائدة عند الباحثين المحدثين:

وَلَمَّاْ كَاْنَتْ هَذِهِ الظَّاْهِرَةُ أَحَدَ عَنَاْصِرِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوَاْصُلِيَّةِ الَّتِيْ أَفَاْدَ مِنْهَا النُّحاةُ وَهُمْ يُقَعِّدُوْنَ وَيُنَظِّرُوْنَ لِهَيْكَلِيَّةِ الْكَلَاْمِ الْعَرَبِيِّ وَقَوَاْعِدِهِ، طَفِقَ الْمُحْدَثُوْنَ يُشِيْدُوْنَ بِهَذِهِ الظَّاْهِرَةِ، يَقُوْلُ تَمَّاْم حَسَّاْن: "الْإِفَاْدَةُ هِيَ الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ لِلاسْتِعْمَاْلِ اللُّغَوِيِّ[2]"، وَيَقُوْلُ رَشِيْد بلحَبِيْب: "وَمَتى زَاْلَتِ الْفَاْئِدَةُ صَاْرَ الْكَلَاْمُ عِبَاْرَةً عَنْ رُكَاْمٍ مِنَ الْأَلْفَاْظِ[3]".

وقد كَاْنَ الدُّكْتُوْر مَسْعُوْد صَحْرَاْوِيّ أَكْثَرَ إِعْجَاْبَاً بِالْعَبْقَرِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَطَبِيْعَةِ فَهْمِهَاْ لِلُّغَةِ بِنَاْءً عَلَى الْأَدَاْءِ التَّوَاْصُلِيِّ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، فَقَاْلَ مُعبِّراً عن أهمية فائدة المُخاطب في العمليَّة التواصُليَّةِ: "لَعَلَّ مِنْ مَظَاْهِرِ الْعَبْقَرِيَّةِ عِنْدَ بَعْضِهِم أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنَ اللُّغَةِ أَنَّهَاْ مَنْظُوْمَةٌ مِنَ الْقَوَاْعِدِ الْمُجَرَّدَةِ وَإِنَّمَاْ فَهِمُوا مِنْهَاْ أَيْضَاً أَنَّهَاْ لَفْظٌ مُعَيَّنٌ يؤدِّيه مُتكلِّمٌ

([1]): ابن السراج، *الأصول في النحو*، ج1، ص66.

([2]): حسان، تمام، *البيان في روائع القرآن*، ط1، عالم الكتب، 1413هـ–1993م، ص346.

([3]): بلحبيب، رشيد، *أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي*، مجلة اللسان، المغرب، العدد45، ص46.

مُعـيَّنٌ فِـيْ مَقَـاْمٍ مُعَـيَّنٍ لِأَدَاْءِ غَـرَضٍ تواصُـلـيٍّ إِبْلَاْغِـيٍّ مُعَـيَّنٍ، وَلِـذَلِكَ جَعَلُـوا مِـنْ أَهْـدَافِ الدِّرَاْسَةِ النَّحْوِيَّةِ إِفَاْدَةَ الْمُخَاْطَبِ مَعْنَى الْخِطَاْبِ وَإِيْصَاْلِهِ رِسَاْلَة إِبْلَاْغِيَّة إِلَيْهِ[1]".

وَلِهَذَاْ يَقُوْلُ نِهَاْد الْمُوْسَى: "يُمَثِّلُ الْمُخَاْطَبُ أَحَدَ أَعْمِدَةِ الْمَوْقِفِ الْكَلَاْمِيِّ، وَتُصْبِحُ فَاْئِدَةُ الْمُخَاْطَبِ مِعْيَاْرَاً لِصحَّةِ الْكَلَاْمِ[2]"، ويشيرُ إلى أنَّ "النظامَ اللغوي خلق للإفادةِ، أَي: لتبليغِ أغراضِ المتكلم للمستمعِ، فهو آلةُ التبليغِ جوهره تابع لما ولي من أمر الفائدةِ[3]".

وَهَذِهِ الْفَاْئِدَةُ لَاْ تَحْصلُ بِالْكَلَاْمِ إِفْرَاْدَاً وَإِنَّمَاْ تَكُوْنُ مِنْ خِلَاْلِ التراكيبِ، وَيُفَسِّرُ الدكْتُوْر حَسن طبل الْفَرْقَ بَيْنَ الدِّلَاْلَةِ الْإِفْرَاْدِيَّةِ وَالتَّرْكِيْبِيَّةِ مِنْ خِلَاْلِ قَوْلِهِ: "فَاْلْكَلِمَةُ الْمُفْرَدَةُ لَهَاْ دِلَاْلَةٌ عَلَى مَعْنَاْهَا الَّذِيْ وُضِعَتْ إِزَاْءَهُ وَلَكِنَّنَاْ لَاْ نَفِيْدُ مِنْ تِلْكَ الدِّلَاْلَةِ فِيْ ذَاْتِهَاْ شَيْئَاً مَاْ إِذْ إِنَّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ قَدْ سبقَ أَنْ حَصَّلْنَاْهُ وَارتَسَمَتْ صُوْرَتُهُ فِيْ أَذْهَاْنِنَاْ قَبْلَ وَضْعِهَاْ وَبِنَاْءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ وَظِيْفَةَ وَضْعِ الْكَلِمَاْتِ لَيْسَتْ هِيَ التَّعرِيْفَ بِالْمَعَاْنِي الْمُفْرَدَةِ لَهَاْ بَلْ هِيَ أَنْ تُضَمَّ تِلْكَ الْكَلِمَاْتُ فِيْ بِنَاْءٍ لُغَوِيٍّ تَتَفَاْعَلُ فِيْهِ فَيَنْتجُ عَنْ تَفَاْعُلِهَاْ مَعْنَىً آخَرُ أَوْ مَعَاْنٍ أُخْرَى هِيَ مَاْ يُطْلَقُ عَلَيْهَاْ بِالْفَوَاْئِدِ وَمُقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّ الْفَاْئِدَةَ هِيَ نِتَاْجُ الدِّلَاْلَةِ التَّرْكِيْبِيَّةِ لَا الْإِفْرَاْدِيَّةِ فَلَاْ تَتَحَقَّقُ فِيْهَاْ مَاْ دَاْمَتْ مُفْرَدَةً وَلَاْ تَكُوْنُ إِلَّاْ إِذَاْ تَضَاْمَت الْوَاْحِدَةُ مَعَ الْأُخْرَى[4]".

([1]): صَخْرَاْوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاْوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاْءِ الْعَرَبِ*، ص174.

([2]): المُوْسَى، د. نِهَاْد، *الْأَعْرَاْفُ أَو نَحْو اللِّسَاْنِيَّاْتِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ*، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الأوَّل، 1985م، ص135–156.

([3]): المُوْسَى، د. نِهَاْد، *نظرية النحو العربي*، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1400هـ–1980م، ص87.

([4]): طَبَل، د. حَسَن، *المَعْنَى فِي الْبَلَاْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ*، دَاْرُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاْهِرَة–مصْر، ط1، 1418هـ–1998م، ص63.

وَهُنَاْ تَبْرزُ أَهَمِّيَّةُ الْإِسْنَاْدِ بِوَصْفِهِ الْعَامِلَ الْأَوَّلَ فِيْ وِلَاْدَةِ الْفَاْئِدَةِ، وَهَذَاْ مَاْ أَكَّدَهُ حَسَن طَبَل بِقَوْلِهِ: "فَالْإِسْنَاْدُ مِنْ جِهَةٍ يُمَثِّلُ أَسَاْسَ الْفَاْئِدَةِ... وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يُمَثِّلُ قَوَاْمَ الْكَلَاْمِ[1]".

أثر مبدأ الفائدة في توجيه الإعرابِ:

بَاْتَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْعُلَمَاْءَ الْقُدَاْمَى أَقَاْمُوا قَوَاْعِدَهُمْ عَلَى أَسَاْسٍ مَتِيْنٍ هُوَ الْمَعْنَى، وَلَمَّاْ كَاْنَتْ فَاْئِدَةُ الْمُخَاْطَبِ إِحْدَى رَكَاْئِزِ الْمَعْنَى اعْتَمَدُوا عَلَيْهَاْ فِيْ تَوْجِيْهَاْتِهِم النَّحْوِيَّةِ، فتَرَاْهُم وَهُمْ يُحَاْوِلُوْنَ تَفْسِيْرَ النُّصُوْصِ وَتَوْجِيْهَ إِعْرَاْبِهَاْ يَفْزَعُوْنَ إِلَى هَذَا الْمَبْدَأِ.

وَأَكْبَرُ دَلِيْلٍ عَلَى هَذَا التَّصَوُّرِ مَاْ أَوْرَدَهُ أَحْمَدُ بْنُ ولاد فِيْ كِتَاْبِهِ "الانْتِصَاْر لِسِيْبَوَيْهِ عَلَى الْمُبَرِّدِ"، وَذَلكَ فِيْ رِوَاْيَةِ الرَّفْعِ لِكَلِمَةِ يَوْمٍ فِيْ قَوْلِ الْشاعر:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُوْنَ بَلَاْءَنَاْ إِذَاْ كَاْنَ يَوْمٌ ذُوْ كَوَاْكِبَ أَشْنَعَا[2]

إِذْ نَجِدُهُ يُرَجِّحُ رَأْيَ سِيْبَوَيْهِ وَهُوَ تَمَاْمُ "كَاْنَ" عَلَى رَأْيِ الْمُبَرِّدِ وَهُوَ نقْصَاْنُ "كَاْنَ"، مُعْتَمداً فِيْ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيْمِ فَاْئِدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ، يَقُوْلُ: "الوجه الآخرُ الذي وقعَ فيه يومٌ ذو كواكب، فهو أيضاً على وقعَ، وأشنعَ حالٌ، فأمَّا قول مُحَمَّدٍ: إنَّه يُنْصَبُ أشنعَ على أنَّه خبرُ كانَ فهو غلطٌ؛ لِأَنَّهُ لم يُخْبِرْ بكان ههنا عن أمرٍ ثابتٍ مُستَقِرٍّ به، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إذا قلتَ: كانَ اليومُ الذي تَعْلَمُ عَظيماً، فقد أَخْبرْتَ عن يومٍ واقعٍ معلومٍ، قالَ: والشاعرُ لم يرد هذا، إنَّما أرادَ به: إذا وقعَ يومٌ –هذه حالُه– فَعَلَ وصَنَعَ، ولم يُخْبِرْنا عن أمرٍ واقعٍ؛ لِأَنَّ إذا في معنى الجزاءِ، ويومٌ زمانٌ يَحْدُثُ، ولم يُخَالِفْه مُحَمَّدٌ في أن هذا الوجه من أقسامِ كانَ، ولا في أنَّ الشاهدَ يحتمل ذلك، وإنَّما فسَّرَ البيتَ على ما رآه مُحتملاً غيرَه، وعلى أنَّه

([1]): *المصدر السابق*، ص67.

([2]): البيت للشاعر عَمْرو بن شأس، ورواية الديوان: "إذا كانَ يومٌ ذا كواكب أشنعا". انظر: ابن شأس، عَمْرو الأسديّ، *الديوان*، تح: د. يحيى الجبوري، ط2، دار القلم، الكويت، 1403هـ–1083م، ص31.

ليسَ بشاهدٍ قاطعٍ على المعنى الذي أرادَه سيبويه دونَ غيره لمَّا رأى أشنعا منصوباً، وكانَ غيرِه مُحتملاً أنْ يكونَ خبراً، لا حالاً، ولَعمري لو أخبرَ عن أمرٍ مستقرٍّ ثابتٍ ولكنَّه أخبرَ به عن أمرٍ ممكنٍ حدُوثُه وفيه حرف الشركةِ، فمِن ههنا جعلَه سيبويه حالاً، ولم يجعلْه خبراً[1]".

مِنَ الْوَاْضِحِ أَنَّ سِيْبَوَيْهِ رَأَى أَنَّ "كَاْنَ" فِي الْبَيْتِ تَاْمَّةٌ وَ"يَوْمٌ" فَاْعِلٌ، وَ"أَشْنَعا" حَاْلٌ، فَهُوَ بِهَذَا الْوَجْهِ يُخَبِّرُ المخاطَبَ شَيْئاً غَيْرَ وَاْقِعٍ، فَهُوَ أَرَاْدَ بِهِ: إِذَاْ وَقَعَ يَوْمٌ –هَذِهِ حَاْلُهُ – فَعَلَ وَصَنَعَ بِخِلَاْفِ رَأْيِ الْمُبَرِّدِ الَّذِي رَأَى أَنَّ "كَانَ" يُمكنُ أنْ تكونَ فِعْلاً مَاْضياً نَاْقِصاً، وَ"يوم" اسمهَاْ و"أَشْنَعَا" خَبرهَاْ، وَيَكُوْنُ الْإِخْبَاْرُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ شَيْئاً مَعْلُوْماً غَيْرَ مُفِيْدٍ، وَالَّذِي دَفَعَ بِالْمُبَرِّدِ إِلَى هَذَا الْوَجْهِ الشَّكْلُ الظَّاْهرُ بِالْإِضَاْفَةِ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي رَآهُ، وَبِذَلِكَ يكونُ سِيْبَوَيْهِ يقومُ بتحليلِ التَّرَاْكِيْبِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْلِيْلِهَاْ بِنَاْءً عَلَى عِلَلٍ مَأْخُوْذَةٍ مِنَ الْوَاْقِعِ الاسْتِعْمَاْلِيِّ لِلُّغَةِ، إِذْ كَاْنَتْ هَذِهِ الْعِلَّةُ هِيَ تَقْدِيْمَ الْفَاْئِدَةِ لِلْمُخَاْطَبِ، وَهَذَا مَاْ يُؤَكِّدُهُ ابْنُ سِيْدَة مُشِيْداً بِتَوْجِيْهِ سِيْبَوَيْهِ إِذْ قَاْلَ: "أَشْنَع حَاْلٌ، وَلَاْ تَكُوْنُ خَبَراً لِكَاْنَ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ سَبِيْلُهُ أَنْ يَكُوْنَ مُفِيْداً، وَلَيْسَ فِي أَشْنَع مِنَ الْفَاْئِدَةِ إِلَّا مَاْ فِيْ قَوْلِهِ: "ذُوْ كَوَاْكِب"؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ إِذَا كَاْنَ ذَاْ كَوَاْكِبَ كَاْنَ شَنِيْعاً إِذْ ظُهُوْرُ الْكَوَاْكِبِ إِنَّمَاْ يَكُوْنُ لِلْتَاْمِ الَّذِيْ يكسِفُ ضَوْء الشَّمْسِ، فَتَظْهَر. وَهَذَاْ مِنْ دَقَاْئِقِ سِيْبَوَيْهِ الَّتِيْ يُسَمِّيْهَا الْمُتَأَمِّلُ إِعْجَاْزاً[2]".

ويَسْتَنِدُ ابْنُ جِنِّي إِلَى حُصُوْلِ فَاْئِدَةٍ جَدِيْدَةٍ لِلْمُخَاْطَبِ فِيْ تَوْجِيْهِ إِعْرَاْبِ كَلِمَةِ "خَاْسِئِيْنَ" مِنْ قَوْلِهِ تَعَاْلَى: **{فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}**[3] فَهُوَ يَرَى أَنَّ كَلِمَةَ "خاسئين" إِذَاْ أُعْرِبَتْ خَبَراً ثَاْنِيَاً تُفِيْدُ الْمُخَاْطَبَ مَعْنَىً جَدِيْداً يَعْلُو بِهِ الْكَلَاْمُ، أَكْثَر مِمَّاْ تفيدُهُ إِذَاْ

([1]): ابن ولاد، أحمد بن محمد، *الانتصار لسيبويه على المبرد*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ–1996م، ص51–53.

([2]): ابن سيدة، شرح مشكل شعر المتنبي، تح: د. محمد رضوان الداية، د. ط، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت، ص294.

([3]): البقرة: 65/2.

أُعْرِبَتْ صِفَةً؛ لِأَنَّهَا تُعْطِيْ مَعْنَىً مُعَادَاً وَتَكُوْنُ عِبَارَةً عَنْ تَحْصِيْلِ حَاصِلٍ وَلَغْوَاً لَاْ فَائِدَةَ فِيْهِ، يَقُوْلُ ابْنُ جِنِّيْ: "يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ "خاسئين" خَبَرَاً آخَرَ لـ "كونوا" وَالْأَوَّلَ "قِرَدة" فَهُوَ كَقَوْلِكَ: هَذَاْ حُلْو حَامِض وَإِنْ جَعَلْتَهُ وَصْفَاً لـِ "قِرَدة" صَغُرَ مَعْنَاْه أَلَاْ تَرَى أَنَّ الْقِرْدَ لِذِلِّهِ وَصَغَارِهِ خَاْسِئٌ أَبَدَاً فَيَكُوْنُ إِذَاً صِفَةً غَيْرَ مُفِيْدَةٍ، وَإِذَاْ جَعَلْتَ "خاسئين" خَبَرَاً ثَاْنِيَاً حَسُنَ وَأَفَاْدَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَاْلَ: كُوْنُوا قِرَدَةً وَكُوْنُوا خَاْسِئِيْنَ أَلَاْ تَرَى أَنْ لَيْسَ لِأَحَدِ الْإِسْمَيْنِ مِنَ الْإِخْتِصَاْصِ بِالْخَبَرِيَّةِ إِلَّا مَاْ لِصَاْحِبِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الصِّفَة بَعْدَ الْمَوْصُوْفِ إِنَّمَا اخْتِصَاْص الْعَاْمِلِ بِالْمَوْصُوْفِ ثُمَّ الصِّفَة مِنْ بَعْد تَاْبِعَة له[1]".

وَبِذَلِكَ يَكُوْنُ "الْإِعْرَاْبُ عِنْدَ ابْنِ جِنِّيْ لَيْسَ مُجَرَّدَ أَنْ يَنْظُرَ الْمُعْرِبُ فِيْ قَوَاْعِدِ النَّحْوِيِّيْنَ فَيُبِيْحُ مَاْ أَبَاْحَتْ وَيَمْنَعُ مَاْ مَنَعَتْ، وَإِنَّمَاْ هُوَ رَصْدٌ لِلْمَعْنَى، وَإِصْلَاْحٌ لَهُ، وَجَلْبٌ لِلْفَاْئِدَةِ الْمُتَوَخَّاْةُ مِنَ الْكَلَاْمِ وَإِضْفَاْءُ الْحسنِ عَلَيْهِ[2]".

وَقَدْ كَاْنَ الزَّمَخْشَرِيّ يُقَلِّبُ نَاْظِرَيْهِ فِي الْأَوْجُهِ الْإِعْرَاْبِيَّةِ، فَيَقْبَلُ مَاْ يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى وَيُقَدِّمُ فَاْئِدَةً، وَيَرْفضُ مَاْ دُوْنَ ذَلِكَ، فَقَدْ جَاْءَ فِيْ تَوْجِيْهِهِ قَوْلَه تَعَاْلَى: **{وَكَاْنَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}**[3] مَاْ يَأْتِي: "الْمَنْصُوْبَاْن –أَعْنِي {بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً}– جَاْئِزٌ أَنْ يَكُوْنَا خَبَرَيْن مَعاً، وَأَنْ يَحْتَمِلَ بَيْنَ ذَلِكَ لَغْواً، وَقَوَاْماً مُسْتَقراً، وَأَنْ يَكُوْنَ الظَّرْفُ خَبَراً، وَقَوَاْماً حَاْلاً مُؤَكَّدَةً. وَأَجَاْزَ الْفَرَّاْءُ أَنْ يَكُوْنَ {بَيْنَ ذلِكَ} اسْمَ كَاْنَ، عَلَى أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِإِضَاْفَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّنٍ[4]".

([1]): ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَاْن، *الخَصَاْئِص*، ج2، ص159 .

([2]): يُوْسف مُصْطَفَى، د. عُمَر، *دِرَاْسَاْتٌ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ*، دَاْرُ الْيَنَاْبِيْعِ، دِمَشْقُ، ط1، 2008م، ص121.

([3]): الفرقان: 67/25.

([4]): الزمخشري، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ج3، ط2، دار إحياء التراث العربي– مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، 1421هـ–2001م، ص 299.

ثُمَّ نَرَاْهُ يُضَعِّفُ رَأْيَ الْفَرَّاْءِ بِسَبَبِ عَدَمِ وُجُوْدِ فَاْئِدَةٍ فِيْهِ، يَقُوْلُ: "وَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَاْبِ لَاْ بَأْسَ بِهِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى لَيْسَ بِقَوِيٍّ؛ لِأَنَّ مَاْ بَيْنَ الْإِسْرَاْفِ وَالتَّقْتِيْرِ قَوَاْمٌ لَاْ محَاْلَة، فَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ الَّذِيْ هُوَ مُعْتَمَدُ الْفَاْئِدَةِ فَاْئِدَةٌ[1]".

وَمِنَ الْآيَاْتِ الَّتِي يُمْكِنُ دِرَاْسَتُها تَحْتَ هَذَا الْمَبْحَثِ، قَوْلُه تَعَاْلَى: **{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}**[2]، فقد انتقدَ أبو السعودِ، مُستفيداً من مبدأ الفائدةِ، مَن ذهبَ إلى أنَّ "قلوب" مبتدأ، وواجفة صفة، وجملة {أبصارها خاشعة} خبرٌ، إذْ مِنَ الْمَعْلُوْمِ أنَّ رَجِيْفَ الْقُلُوْبِ أَكْثَرُ هَوْلاً وَأَشَدُّ أَثَراً مِنْ خُشُوْعِ الْأَبْصَاْرِ، وَخُشُوْعُ الْأَبْصَاْرِ أَهْوَنُ مِنْ رَجِيْفِ الْقُلُوْبِ، فَكَيْفَ نَجْعَلُ مَاْ يَدُلُّ عَلَى التَّهْوِيْلِ صِفَةً، وَمَاْ يَدُلُّ عَلَى التَّهْوِيْنِ خَبَراً، يَقُوْلُ: "قَوْلُهُ تَعَاْلَى {قُلُوْب يومئذ واجفة} أَيْ: يَوْمَ تَرْجِفُ وَجفت الْقُلُوْب. قِيْلَ {قُلُوب} مُبْتَدَأ وَ{يَوْمئذ} مُتَعَلِّقٌ بِـ {وَاْجِفَة} وَهِيَ صِفَةٌ لِقُلُوْبٍ مُسَوّغَة لِوُقُوْعِهِ مُبْتَدَأً، وَقَوْلُهُ تَعَاْلَى {أَبْصَارها} أَيْ: أَبْصَاْر أَصْحَاْبٍ {خَاْشِعَة} جملة من مبتدأ وخبر وَقَعَتْ خَبَراً لِقُلُوْبٍ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ حَقَّ الصِّفَةِ أَنْ تَكُوْنَ مَعْلُوْمَةَ الانْتِسَاْبِ إِلَى الْمَوْصُوْفِ عِنْدَ السَّاْمِعِ حَتَّى قَاْلُوا: إِنَّ الصِّفَاْتِ قَبْلَ الْعِلْمِ بِهَاْ أَخْبَاْرٌ، وَالْأَخْبَاْرَ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهَاْ صِفَاْتٌ، فَحِيْثُ كَاْنَ ثُبُوْتُ الْوَجِيْفِ لِلْقُلُوْبِ وَثُبُوْتُ الْخُشُوْعِ لِأَبْصَاْرِ أَصْحَاْبِهَاْ سَوَاْءً فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْجَهَاْلَةِ كَاْنَ جَعْلُ الْأَوَّلِ عِنْوَاْناً لِلْمَوْضُوْعِ مُسَلَّمَ الثُّبُوْتِ مَفْرُوْغاً عَنْهُ، وَجَعْلُ الثَّاْنِي مُخْبَراً بِهِ مَقْصُوْدُ الْإِفَاْدَةِ تَحَكُّماً بَحْتاً عَلَى أَنَّ الْوَجِيْفَ الَّذِيْ هُوَ عِبَاْرَةٌ عَنْ شِدَّةِ اضطراْبِ الْقَلْبِ وَقَلَقِهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْوَجَل أَشَدُّ مِنْ خُشُوْعِ الْبَصَرِ وَأَهْوَلُ، فَجَعْلُ أَهْوَنِ الشَّرَّيْنِ عُمْدَةً وَأَشَدِّهِمَاْ فَضْلَةً مِمَّاْ لَاْ عَهْدَ لَهُ فِي الْكَلَاْمِ، وأَيْضاً فَتَخْصِيْصُ الْخُشُوْعِ بِقُلُوْبٍ مَوْصُوْفَةٍ بِصِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ غَيْرِ مُشْعِرَةٍ بِالْعُمُوْمِ وَالشُّمُوْلِ تَهْوِيْنٌ لِلْخَطْبِ فِيْ مَوْقِعِ التَّهْوِيْلِ، فَالْوَجْهُ أَنْ يُقَاْلَ تَنْكِيْرُ {قُلُوب} يَقُوْمُ مَقَاْمَ الْوَصْفِ الْمُخْتَصِّ سَوَاْء عَلَى حَمْلِ التَّنْوِيْعِ كَمَاْ قِيْلَ، وَإِنْ لَمْ يُذْكَر النَّوْعُ الْمُقَاْبِلُ، فَإِنَّ

([1]): *المصدر السابق*، ج3، ص299.

([2]): القارعة: 8/79–9.

الْمَعْنَى مُنْسَحِبٌ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى التَّكْثِيْرِ كَمَاْ فِيْ (شَرٌّ أَهَرَّ ذَاْ نَاْبٍ)، فَإِنَّ التَّفْخِيْمَ كَمَاْ يَكُوْنُ بِالْكَيْفِيَّةِ يَكُوْنُ بِالْكَمِّيَّةِ أَيْضاً كَأَنَّهُ قِيْلَ قُلُوْب كَثِيْرَة يَومَ إِذْ يَقَعُ النَّفْخَتَاْنِ {واجفة} أَيْ: شَدِيْدَة الاضطرَاْبِ[1]"، وَعَلَى هَذَا يَكُوْنُ إِعْرَاْبُ {قلوب} مُبْتَدَأً، و{واجفة} خَبَره، وَجُمْلَةُ {أبصارها خاشعة} صِفَة لـ {قلوب}، وَعَدَّ الأَلُوْسِيُّ هَذَا الْإِعْرَاْبَ هُوَ الْأَظْهَرَ[2].

وَيَتَبَنَّى ابْنُ عَاْشُوْر هَذَا الرَّأْيَ، وَلَكِنَّه يَجْعُلُ {أبصارُها خاشعة} خَبَراً ثَاْنِيَاً، يَقُوْلُ: "وَتَنْكِيْرُ {قلوب} لِلتَّكْثِيْرِ، أَيْ: قُلُوْب كَثِيْرَة وَلِذَلِك وَقَعَ مُبْتَدَأً، وَهُوَ نَكِرَةٌ لِإِرَاْدَةِ النَّوْعِيَّةِ، وَالْمُرَاْدُ: قُلُوْبُ الْمُشْرِكِيْنَ الَّذِيْنَ كَاْنُوا يَجْحَدُوْنَ الْبَعْثَ، فَإِنَّهُم إِذَاْ قَاْمُوا فَعَلِمُوا أَنَّ مَاْ وَعَدَهُم الرَّسُوْلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ حَقٌّ تَوَقَّعُوا مَاْ كَاْنَ يُحَذِّرُهُم مِنْهُ مِنْ عِقَاْبِ إِنْكَاْرِ الْبَعْثِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَاْلِهِمْ، فَأَمَّاْ قُلُوْبُ الْمُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّ فِيْهَا اطمِئْنَاْنَاً مُتَفَاْوِتاً بِحَسْبِ تَفَاْوُتِهِم فِي التَّقْوَى، وَالْخَوْفُ يَوْمَئِذٍ وَإِنْ كَاْنَ لَاْ يَخْلُوْ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَنَّ أَشَدَّهُ خَوْفُ الَّذِيْنَ يُوْقِنُوْنَ بِسُوْءِ الْمَصِيْرِ، وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهُم كَاْنُوْا ضَاْلِّيْنَ فِي الْحَيَاْةِ الدُّنْيَاْ، وَالْوَاْجِفَةُ: الْمُضطرِبَةُ مِنَ الْخَوْفِ، يُقَاْلُ: وَجِف كَضَرِفَ وجَفّاً وَوَجِيْفاً وَوُجُوْفاً، إِذَا اضطرَبَ. وَ{واجفة} خَبَرُ {قلوب}، وَجُمْلَةُ {أبصارها خاشعة} خَبَرٌ ثَاْنٍ عَنْ {قلوب}، وَقَد زَاْدَ الْمُرَاْدَ مِن الْوَجِيْفِ بَيَاْناً قَوْلُه {أبصارها خاشعة}، أَيْ: أَبْصَاْر أَصْحَاْبِ الْقُلُوْبِ[3]"، وَهُنَا نَرَى الْفَرْقَ بَيْنَ رَأْيِ ابْنِ عَاْشُوْر وَأَبِي السُّعُوْدِ، فَأَبُو السُّعُوْد جَعلَ المُخَاطَبَ عَاْرِفاً أَنَّ الْأَبْصَاْرَ تَكُوْنُ خَاْشِعَةً، فَأَعْرَبَ الْجُمْلَةَ صِفَةً، وَلَكِنَّ ابْنَ عَاْشُوْر جَعَلَ الْمُخَاْطَبَ غَيْرَ عَاْرِفٍ ذَلِكَ، فَجَاْءَتْ جُمْلَةُ {أَبْصَارها خاشعة} لِتُعْطِيَهُ مَعْنَىً جَدِيْداً، وَفَاْئِدَةً أُخْرَى، فَجَعَلَهَاْ خَبَراً ثَاْنِياً.

([1]): أَبُو السُّعُوْد، *إِرْشَاْدُ الْعَقْلِ السَّلِيْمِ إِلَى مَزَاْيَا الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ*، ج9، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص97.

([2]): الأَلُوْسِيُّ، شِهَاْبُ الدِّيْنِ، *روحُ الْمَعَاْنِي فِي تَفْسِيْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَاْنِي*، ج30، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، ص26.

([3]): ابنُ عَاْشُوْر، مُحَمَّد الطَّاْهِر، *التَّحْرِيْر وَالتَّنْوِيْر*، ج30، د. ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ص67–68.

وَمِمَّا سَبَقَ نَؤُكِّدُ أَنَّ العُلَمَاءَ الْعَرَبَ القُدَامَى قَدْ عَمِلُوا عَلَى تَحْلِيْلِ التَّرَاْكِيْبِ اللُّغَوِيَّةِ بِنَاءً عَلَى الْمَوْقِفِ الْكَلَاْمِيِّ الَّذِي يَتمُّ فِيْهِ التَّوَاْصُلُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَمُخَاْطَبٍ وَيَتَأَثَّرُ بِكُلِّ مَاْ يُمْكِنُ أَنْ يَلْقِيَ بِظِلَاْلِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنْ أُمُوْرٍ كَثِيْرةٍ وَمُعَقَّدَةٍ، وَهَذَا مَاْ لَمَسْنَاْهُ وَاْضِحاً فِيْ هَذَا الْمَبْحَثِ الَّذِي يَقُوْمُ عَلَى تَتَبُّعِ ظَاْهِرَةِ فَاْئِدَةِ السَّاْمَعِ عِنْدَ عُلَمَاْئِنَا الْقُدَاْمَى فَقَدْ عَمِلُوا جهْدَهُمْ فِيْ تَوْجِيْهِ إِعْرَاْبِ النُّصُوْصِ بِنَاْءً عَلَى الْفَاْئِدَةِ الَّتِي يَجْنِيْهَا الْمُخَاْطَبُ مِنَ النَّصِّ فَأَثْبَتُوا الْوَجْهَ الْإِعْرَاْبِيَّ الَّذِيْ يُقَدِّمُ الْفَاْئِدَةَ وَأَلْغَوْا ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِيْ لَاْ يجْدِي نَفْعاً لِلْمُخَاْطَبِ.

النَّتَاْئِجُ وَالتَّوْصِيَاْتُ:

انعَقَدَ الْبَحْثُ لِيَتَنَاْوَلَ مَفْهُوْمَ الْفَاْئِدَةِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ أَهَمِّ الْمَفَاْهِيْمِ الَّتِيْ تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا النَّظَرِيَّةُ التَّدَاْوُلِيَّةُ، وَذَلِكَ نَاْبِعٌ مِن اعْتِقَاْدِنَاْ بِأَنَّ دِرَاْسَةَ التُّرَاْثِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيْمِ بِمَنْظُوْرٍ جَدِيْدٍ يَسْتَجِيْبُ لِتَطَوُّرِ مُعْطَيَاْتِ الدَّرْسِ الْحَدِيْثِ تَعُوْدُ بِالْخَيْرِ الْجَمِّ عَلَيْهِ وَتُؤَدِّي إِلَى إِثْرَائِهِ بِمُصْطَلَحَاْتٍ عَصْرِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَحْلِيْلِ التَّرَاْكِيْبِ النَّحْوِيَّةِ بِنَاْءً عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نُلَخِّصَ أَهَمَّ مَاْ تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ فِي النِّقَاْطِ الْآتِيَةِ:

أَوَّلاً: اتَّضحَ الفَرقُ بَيْنَ مُصْطَلَحَي الفَائِدَةِ وَالإِفْهَاْمِ؛ فَالفَائِدَةُ تَتَّجِهُ إِلَى الْمُخَاْطَبِ، وَهِيَ مَا يَجْنِيْهِ مِنَ الْخِطَاْبِ، وَالإِفْهَاْمُ يَتّجِهُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ الَّذِي يُرْسِلُ كَلَاْمَهُ وَاْضِحَاً مَفْهُوْماً، وَيَبْدُو أَنَّ الإِفْهَاْمَ شَرْطٌ لِتَحْقِيْقِ الْفَاْئِدَةِ عِنْدَ الْمُخَاْطَبِ.

ثانياً: حَرصَ الْعُلَمَاْءُ الْعَرَبُ فِيْ أَثْنَاْءِ تَقْعِيْدِهِم الكَلَاْمَ الْعَرَبِيَّ عَلَى أَخْذِ لُغَتِهِمْ مِنَ الْمَوَاْقِفِ التّخَاْطُبِيَّةِ الَّتِيْ تَجْرِيْ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاْطَبِ، وَذَلِكَ انطِلَاْقاً مِنْ إِيْمَاْنِهِم بِأَنَّ اللُّغَةَ بِنْتُ الْمُجْتَمَعِ، فِيْهِ تَتَكَوَّنُ دِلَاْلَاْتُهَاْ وَتَأْخُذُ مَعَاْنِيْهَاْ، وَبِنَاْءً عَلَى هَذِهِ الْحَقِيْقَةِ عَمِلُوا عَلَى تَفْسِيْرِ النُّصُوْصِ اللُّغَوِيَّةِ وَتوجيه قواعدهم وتعليلها.

ثالثاً: وَبِنَاءً عَلَى أَنَّ الْفَائِدَةَ هِيَ إِحْدَى رَكَائِزِ الْمَوَاقِفِ التَّخَاطُبِيَّةِ، قَامَتِ اللُّغَةُ عَلَى أَسَاسِهَا، وَبِذَلِكَ يُعَدُّ مَفْهُوْمُ الْفَائِدَةِ أَحَدَ الْمَفَاهِيْمِ الَّتِيْ تَنْتَمِيْ إِلَى مَجَالِ الاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ فِي الدِّرَاسَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَهُوَ أَلْصَقُ بِالْمُخَاطَبِ الَّذِيْ يَسْعَى إِلَى الْحُصُوْلِ عَلَى فَائِدَةِ الْكَلَامِ.

رابعاً: أَقَامَ الْعُلَمَاءُ الْعَرَبُ نِظَامَهُم اللُّغَوِيَّ عَلَى أَسَاسِ الْفَائِدَةِ الَّتِيْ تَعْنِي تَبْلِيْغَ أَغْرَاضِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى السَّامِعِ، فَاشْتَرَطُوْا لَهَا الصِّحَّةَ الْقَوَاعِدِيَّةَ أَيْ تَأْلِيْفُ الْكَلَامِ عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوْصَةٍ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الصِّحَّةِ الدِّلَالِيَّةِ، أَيْ: أَنْ تَحملَ الْجُمْلَةُ مَعْنَى مَقْبُوْلاً سَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا الْمَعْنَى الدِّلَالِيُّ حَقِيْقِيّاً أَمْ مَجَازِيّاً.

خامساً: إِنَّ تَنَاوُلَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ مَفْهُوْمَ الْفَائِدَةِ يُؤَكِّدُ أَنَّ النَّحْوَ قَرِيْبٌ مِنَ الْجُمْلَةِ بَعِيْدٌ عَنِ الْكَلِمَةِ، فَهُم أَكَّدُوا مِرَاراً أَنَّ الْفَائِدَةَ تَتَعَلَّقُ بِالتَّرْكِيْبِ لَا الْكَلِمَةِ الْمُفْرَدَةِ.

سادساً: اعْتَمَدَ الْعُلَمَاءُ الْعَرَبُ عَلَى الْفَائِدَةِ فِيْ تَفْسِيْرِ النُّصُوْصِ وَالْمَسَائِلِ اللُّغَوِيَّةِ، وَطَالَمَا كَانَتِ الْفَائِدَةُ نَابِعَةً مِنَ الْمَوْقِفِ التَّخَاطُبِيِّ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى رُوْحِ اللُّغَةِ، وَأَبْعَدَ عَنْ فَلْسَفَةِ الْمُتَكَلِّمِيْنَ؛ لِأَنَّ الاسْتِعْمَالَ لَا يَخْضَعُ لِلْمَنْطِقِ وَلَا يَرْتَبِطُ بِهِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

سابعاً: إِنَّ دِرَاسَةَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ لِمَفْهُوْمِ الْفَائِدَةِ لَمْ يَجْعَلْهُمْ يَتَنَاسَون أَنَّ اللُّغَةَ تَلْتَصِقُ أَيْضاً بِالْمُتَكَلِّمِ الَّذِيْ قَدْ يُفْرِغُ شُعُوْرَهُ وَأَحَاسِيْسَهُ فِيْهَا دُوْنَ أَنْ يَكُوْنَ غَرَضُهُ نَقْلَ مَعْلُوْمَاتٍ جَدِيْدَةٍ لِلْمُخَاطَبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْعَرَبَ الْقُدَامَى قَدْ عَرَفُوا طَبِيْعَةَ اللُّغَةِ، وَارْتِبَاطِهَا بِكُلٍّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ، فَأَعْطَوا هَذَا حَقَّهُ فِي التَّعْبِيْرِ عَنِ انْفِعَالَاتِهِ وَشُعُوْرِهِ وَإِحْسَاسَاتِهِ، وَذَاكَ حَقَّهُ فِي تَقْدِيْمِ الْمَعْلُوْمَاتِ وَالْفَوَائِدِ لَهُ بِمَا يَضْمنُ لِقَوَاعِدِهِم الاسْتِمْرَارَ وَالْبَقَاءَ، وَتَكُوْنَ قَادِرَةً عَلَى اسْتِيْعَابِ الإِنْسَانِ وَتَطَوُّرِهِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

ثامناً: أَكَّدَ الْبَاحِثُوْنَ الْمُحْدَثُوْنَ أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا الْعَرَبِ الْقُدَامَى وَأَشَادُوا بِمَا قَدَّمُوْهُ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَاكْتَفَوْا بِتَأْكِيْدِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُدَامَى دُوْنَ إِضَافَاتٍ تُذْكَرُ.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- الأَلُوْسِيُّ، شِهَابُ الدِّيْنِ، *روحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيْمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي*، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

2- الآمدي، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تح: أحمد صقر، ط4، دار المعارف، د. ت.

3- الأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَامٍ، *شرح قطر الندى وبل الصدى*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، دار الطلائع، مصر، د. ت.

4- الأَنْصَارِيُّ، جَمَالُ الدِّيْنِ بْنُ هِشَامٍ، *مُغْنِي اللَّبِيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِيْبِ*، تَح: مَازِن الْمُبَارَك- مُحَمَّد عَلَيّ حَمد الله، مُرَاْجَعَة سَعِيْد الْأَفْغَانِيّ، د. ط، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت-لبْنَان، 1432هـ- 2010م.

5- بلخير، عمر، *تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التواصلية*، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003م،

6- جاكبسون، *قضايا الشعرية*، تر: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م.

7- الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تح: د. محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995م،

8- ابنُ جِنِّيّ، أَبُو الفَتْحِ عُثْمَان، *الخَصَائِصُ*، تح: محمد علي النجار، د. ط، عالم الكتب بيروت، د. ت.

9- ابن الحاجب، *الإيضاح في شرح المفصل*، تح: إبراهيم محمد عبد الله، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1425هـ-2005م.

10- حسان، تمام، *الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عندَ العرب*، عالم الكتب، مصر، 1420هـ-2004م،

11- حسان، تمام، *البيان في روائع القرآن*، ط1، عالم الكتب، 1413هـ-1993م.

12- حسن، عباس، *النحو الوافي*، ط1، آوند دانش، مصر، 1425هـ-2004م.

13- الرازي، محمد بن أبي بكر، *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

14- الزمخشري، *الكشاف*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط2، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، 1421هـ-2001م

15- السامرائي، د. فاضل صالح، *الجملة العربية والمعنى*، ط1، دار حزم، بيروت، 1421هـ-2000م،

16- ابن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م

17- أَبُو السُّعُوْد، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيْمِ إِلَى مَزَايَا الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

18- السكاكي، *مفتاح العلوم*، ضبطه وعلَّقَ عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م،

19- سيبويه، *الكتاب*، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

20- ابن سيدة، شرح مشكل شعر المتنبي، تح: د. محمد رضوان الداية، د. ط، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت.

21- ابن شأش، عَمْرو الأسديّ، *الديوان*، تح: د. يحيى الجبوري، ط2، دار القلم، الكويت، 1403هـ-1083م،

22- صَحْرَاوِيّ، د. مسعود، *التَّدَاوُلِيَّةُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ: دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ لِظَاهِرَةِ الْأَفْعَالِ الْكَلَامِيَّةِ فِي التُّرَاثِ اللِّسَانِيِّ الْعَرَبِيِّ*، ط1، دَارُ الطَّلِيْعَةِ، بَيْرُوْت، 2005م،

23- طبل، د. حسن، *علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم*، ط2، مكتبة الإيمان، مصر، 1425هـ-2004م

24- طَبْل، د. حَسَن، *المَعْنَى فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ*، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَة-مصْر، ط1، 1418هـ-1998م

25- ابنُ عَاشُوْر، مُحَمَّد الطَّاهِر، *التَّحْرِيْر وَالتَّنْوِيْر*، د. ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

26- عبد اللطيف، د. محمد حماسة، *العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث*، الكويت، 1983م،

27- ابن عقيل، بهاء الدين، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، مصر، د. ت.

28- الغلاييني، الشيخ مصطفى، *جامع الدروس العربية*، بعناية: د. كوكب ديب دياب، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، 2004م.

29- فوراري، تسعديت، *المتلقي في منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م.

30- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

31- مصطفى، إبراهيم وغيره، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، ج1، دار الدعوة، د. ت.

32- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، ط1، دار صادر، لبنان، د.ت،

33- المُوْسَى، د. نِهَاْد، *نظرية النحو العربي*، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 1400هـ-1980م.

34- النعيمي، د. حسان سعيد، *ابن جني عالم العربية*، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.

35- ابن ولاد، أحمد بن محمد، *الانتصار لسيبويه على المبرد*، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ-1996م.

36- ابن يعيش، *شرح المفصّل*، تح: إميل يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ-2001م،

37- يُوْسف مُصْطَفَى، د. عُمَر، *دِرَاْسَاْتٌ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ*، دَاْرُ الْيَنَاْبِيْعِ، دِمَشْقُ، ط1، 2008م.

المجلات والدوريات:

1- بلحبيب، رشيد، *أمن اللبس ومراتب الألفاظ في النحو العربي*، مجلة اللسان، المغرب، العدد45.

2- لهويمل، باديس، *السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية*، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد9، 2013م.

3- المُوْسَى، د. نِهَاْد، *الْأَعْرَاْفُ أَو نَحْو اللِّسَاْنِيَّاْتِ الاجْتِمَاْعِيَّةِ*، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الرابع، العدد الأوَّل، 1985م.

Sources and references:

The Holy Qur'an.

1. Al-aloosy, Shihab Aldin, The spirit of meanings in the interpretation of the the Oft-Repeated Seven Verses and the Holy Qur'an, the Arab Heritage Revival House, Beirut, S.E

2. Al-Amadi, The Comparision Abu Tammam's Poetry with Al-Bahtari, Edited by Ahmed Saqr, Edit 4, Dar al-Ma'arf, In and D.

3. Ansari, Jamal al-Din bin Hisham, Qatar's Explanation of Dew and Even Echo, editing by Mohammed Mohieddin Abdul- Hamid, Dar al-Tala'a, Egypt, M and D.

4. Ansari, Jamal al-Din bin Hisham, Mughni of the wit for strangers Books, Edit Mazin Al- Mubarak- Muhammad Ali HamadAllah, Rev. Sa'id Al-Afghani, Dar Alfikr, Beirut, Lebanon, 1432 H- 2010 AD.

5. BlKhir, Omar, Analysis of theatrical discourse in the light of communicative theory, Edit 1, Manshorat Al'ekhtilaf, Algeria, 2003 AD.

6. Jackson, Poetic Issues, Trans: Muhammad Alwali and Mubarak Hannoun, edit1, Dar Twifal, Morocco, 1988 AD.

7. Al-Jarjani, Abdul Qahir, Signs of Miracles, Edit. Dr Muhammad Altaji, edit1, Dar Alkitab Ala'rabi, Beirut, 1995 AD.

8. Ibn Hali, Abu Al-Fath Osman, Characteristics, edit Muhammad Ali Alnajjar, Alam Alkutub, Beirut, R.D.

9. Ibn Alhajib, Explanation in explaining the detailed, edit: Ibrahim Muhammad Abdullah, e1, Dar Sa'd Aldeen, Damascus, 1425 H- 2005 AD.

10. Hsan, Tammam, Origins an east-of-the-world study of linguistic thought in Arabs, Alam Alkutub, Egypt, 1420 H- 2004 AD.

11. Hasan, Tammam, Statement in the masterpieces of the Qur'an, ed 1, Alam Alkutub, 1413 H – 1993 AD.

12. Hasan, Abbas, Comprehensive Grammar, Edit 15, E. D.

13. Al-Razi, Muhammad Bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Sihah, Lebanon Library, Beirut, 1986 AD.

14. AlZamakShari, the Search Light, ed. Abdalrazak Almahdi, edit2, the reviving of Arab Heritage, Arab History Establishment, Beirut, Lebanon, 1421 H – 2001 Ad.

15. Alsamara'ii, Dr Fadel Salih, Arabic Sentence and Semantics, edit1, Dar Hazem, Beirut, 1421 H- 2000 AD.

16. Ibn AlSaraj, The sources of Grammar, Abd AlHussain Al fatli, edit3, Muassasat Alrisalah, Beirut, 1988 AD.

17. Abu Asa'ud, Guiding the Right Mind to the Merits of the Holy Qur'an, S.C, the Arab Heritage Revival House, Beirut, S.E.

18. Alsakaki, The key of Sciences, commented by Na'im Zarzor, edit 2, Dar Alkutub for sciences, Beirut, 1407 H – 1986 AD.

19. Sybaweh, The Book, edit. Abd Alsalam Haroun, part1, edit2, Scientific Books House, Cairo, 1408 H- 1988 AD.

20. Ibn Saida, AlMutanabi's Poetry Explanation, edit. Dr Muhammad Radwan Daya, AlMa'moun House of Heritage, Damascus, S.E.

21. Ibn Shash, Amr Alasadi, Divan, edit. Dr Yahya Aljbori, ed 2. Dar Alkalam, Kuwait, 1403 H - 1083 AD.

22. Sahrawi, Dr Maso'ud, The circulation of Arab Scholars, A circulating study Speech verbs Phenomenon in the Arab Linguistics Heritage, ed1, Dar Altali'a, Beirut, 2005 AD.

23. Tabl, Dr Hasan, Semantic Science in Rhetoric Heritage rooting and evaluation, edit 2, Maktabat AlIman, Egypt, 1425 H – 2004 AD.

24. Tabl, Dr Hasan, The meaning in Arab Rhetoric, Dar Alfikr Ala'arabi, Cairo, Egypt, cop 1, 1418 H – 1998 AD.

25. - Ibn Ashur, Muhammad Alzahir, Editing and enlightning, D.T, Dar Almaston, Tunisia, 1997 AD.

26. Abdallatif, Dr Muhammad Hamasa, Syntactic sign in Arabic Sentence in tradition and modernism, Kuwait, 1983 AD.

27. Ibn Akil, Baha' Aldin, Ibn Akil's Explanation of Ibn Malik's Millennium, ed. Muhammad Muhi Aldin Abdulhamid, The Pioneer Establishment, Egypt.

28. Alghalini, Shikh Mustafa, Arabic Lesson Collector, sup. Dr Kawkab Deeb Diab, edit1, Modern Books Establishment, Tripoli, Lebanon, 2004 AD.

29. Furari, Sha'dit, the taken in poets' course and authors light, The Arab Writers Union papers, Damascus, 2008 AD.

30. Al-Kafawi, Abu Albaqa', Ayub Bin Musa, Totals-Dictionary of Terminology and Language differences, ed: Adnan Darwish, Muhammad Almasri. S.C, Mu'ssasat Alresalah, Beirut, S.E.

31. Mustafa Ibrahim and others, Alwaseet Dictionary, edit: the Council of Arabic language, part1, Dar AlDa'wa, S.E.

32. Ibn Manzour, Muhammad bin Makram, Arab's Tongue, edit1, Dar Sader, Lebanon.

33. Al-Mousa, Dr Nihad, Arabic Grammar Theory, edit1, Arabic Estabilshment of publishing and studies, Jordan, 14ooH – 1980 AD.

34. Al-Nu'aimi, Dr Hassan Sa'id, Ibn Jinni, Arabic World, Edit1, Public House of cultural Affairs, Baghdad, 1990 AD.

35. Ibn Walad, Ahmad Bin Muhammad, the victory of Sibawayh, edit1, Alresalah Establishment, Beirut, 1416 H- 1996 AD.

36. Ibn Ya'yash, Detailed Explanation, edit Emil Yacoub, copy1, Scientific Books House, Beirut, 1422 H- 2001 AD.

37. Yusuf Mustafa, Dr Omar, Studies in Language and Grammar, Wells House, Damascus, copy1, 2008 AD.

Magazines and periodicals:

1. Blhabib, Rashid, Doubt Safety and Words Stages in Arabic Grammar, Tongues magazine, Morocco, No. 45.

2. Lhoeeml, Badis, The Context and situation in sciences key following, AlMukhabir Magazine, Researchers in Language and Algerian Literature, Biskra University, Algeria, No. 9, 2013 AD.

3. Almusa, Dr Nihad, Social Linguistics and tradition, Arabic Magazine for grammatical studies, Volume 4, No. 1, 19851 AD.

City Dwellers in Eliot's *The Waste Land*

Submitted by : Hawazen Al Saleh
Supervised by : Dr. Bassima Mahfoud

Abstract

This article will be dedicated to study the modern city dwellers. The discussion will be divided to focus first on the general situation of the dwellers in Eliot's city. Then the focus will be shifted to some male dwellers who were able to reflect not only the image of the modern human being but also the image of the moral, spiritual and even sexual struggle the modern man is suffering from. Moreover, the discussion will tackle the female city dwellers who are of great importance since they reveal the idea of victimizing females over age in which the so-called equality of the modern age collapsed. Of course the relationship between males and females in this city will be of great importance since it reveals the robotic and mechanical relationship the modern city dwellers suffer from. This sad and depressing state of the modern residents will not be unchangeable in Eliot's point of view since he always leaves the door open for rebirth and regeneration.

However, we see that this required and aimed at regeneration is only applicable if this modern human being is willing to. Thus what saves the modern city and its inhabitants is in fact its inhabitants when they decide to rise from their death and re-establish a new modern age.

طالبة الدراسات العليا: هوازن الصالح

كلية الآداب – جامعة البعث

اشراف الدكتورة: باسمة محفوض

ملخص

إن هدف هذه المقالة هو دراسة حالة سكان المدينة المعاصرين. ستنقسم المناقشة في هذه المقالة إلى أولا التركيز على الوضع العام لسكان المدينة كما صورها إليوت ومن ثم سيتم التركيز على بعض سكان المدينة من الرجال الذين تمكنوا من عكس صورة المدينة في العصر الحديث بالإضافة الى تصوير الصراع الأخلاقي و الجسدي والروحي الذي يعاني منه الإنسان المعاصر. كما أن هذه المقالة ستتطرق للحديث عن سكان المدينة من النساء الذين أدوا دورا هاما في تصوير وقوع النساء ضحية للاضطهاد في زمن انهارت فيه ادعاءات المساواة بين الرجل و المرأة. كما أن العلاقة بين الرجل و المرأة تحتل أهمية كبيرة هنا حيث غلبت عليها صفة الألية فأصبحت تشبه العلاقة بين رجال آليين بدلا من أن تكون علاقة ملؤها المشاعر و العواطف الإنسانية. على الرغم من أن صورة سكان المدينة في القصيدة هي صورة سوداوية يغمرها الحزن و التشاؤم إلى أن إليوت ترك المجال لشعاع من الأمل في النهضة و الإحياء الروحي و الأخلاقي لسكان المدينة الحديثة. لكن يجدر الذكر أن هذه النهضة لن تحدث مالم تكن للإنسان المعاصر الرغبة في النهوض و نفض غبار الحرب و التدهور اللاأخلاقي الذي نتج عنه. ولذلك فإن خلاص المدينة يكمن في رغبة سكانها بالخلاص و إحياء عصر جديد.

Through the first reading of Eliot's *The Waste Land* the reader notices that it is a multi-voiced poem, it is a poem in which more than one voice is heard and each voice tells a lot about the poem's personas as well as the dwellers of this waste land. Even this multiplicity of voices was referred to through the original title of the poem which was " He do the police in different voices" this line is taken from Charles Dickens' novel *Pur Mutual Friend*. This title supports the claim that although there are different voices in this poem, they all speak of one central consciousness, that is, the modern consciousness.

The *Waste Land* is composed of so many voices and narrations, males and females, young and old, in a variety of languages and styles. The shifts between these speakers is not clear so we are often unable to determine who is speaking. The poem shows how people viewed themselves and viewed each other through important questions like where do I come from and why I am here and where I am going. In the epigraph itself there

are four different languages which means that he speaks to four different voices. So the poet uses multiplicity not only to reflect the situation of the people in this waste land but also to address the modern human being in general of whom this poem speaks. This multiplicity is present in and through the presentation of the city and throughout the relationship among the city dwellers on the one hand and between them and their city on the other hand. The sense of alienation that is presented in the poem and the presence of the different voices in the poem shows that city dwellers as lost and not belonging to their own city. Although the city reflects the lifeless state that those city dwellers are facing, its dwellers appear distant from their own city. They have a superficial relationship with their city, in a way they do not belong to their own city. Thus, there is a sense of otherness in the poem connected with the city dwellers . The many voices that appear in the poem and the sense of alienation that the reader feels while listening to these voices alludes to the idea that these city dwellers

are outsiders who are looking for an identity and a true relationship with their own city. This multiplicity of voices appears in the narration itself. One of the most difficult tasks would be describing or defining the narrator in this poem as it takes many different shapes. At times the narrator seems to be Eliot himself, at other times he speaks for all humanity. In "the fire sermon" he is at one point, the fisher king of The Grail Legend, and on another occasion he is the blind prophet Tiresias. Despite the multiple narration in the poem, the unity of the poem emerges from the fact that all these multiple voices and narrators unite into a single personality which might be called the modern consciousness. The fact that such a modern consciousness cannot settle into a fixed perception of things or even a fixed language and narration helps to convey the sense of the anxiety of modern world. The multiplicity of narrations and the variety of style and languages has collaborated in the making of the city unreal and a vision of the

modern inferno. Thus The *Waste Land* is plentiful with multiplicity of narration in different languages and set of disordered images.

Moreover, these disordered images that *The Waste Land* expresses are in fact a result of the disillusionment of the generation. Many critics saw that *The Waste Land* made Eliot the spokesman of the disillusioned generation " His *The Waste Land* established him decisively as a voice of a disillusioned generation"[1]. Kenner sates that "Eliot uses this "dialectic of analogies" to metaphorically depict the condition of postwar European society, demonstrating the "disillusionment of a generation"[2] . Bloom also asserts that *The Waste Land* can be read as "testament to the disillusionment of a generation, an exposition on the manifest despair and spiritual bankruptcy of the years after World War I"—a dead land of spiritual famine and

[1] Suhil Kumar Sarker. *T.S. Eliot: Poetry, Plays and Prose*. (New Delhi Atlantic Publisher &Distributers LTD, 2008.)

[2] Hugh Kenner. "Eliot's Moral Dialectic." The Hudson Review 2 (1949): 421-48. JSTOR. Web. 5 Feb. 2012.

drought" [3]The poem was written in the early 1920s; in a time of poverty and unemployment and much destruction unresolved from the end of the world war 1 in 1918. Because of all this chaos in post war world, people went on to enjoy themselves. In doing so they lost their direction and their beliefs and as a result, their individuality. This article deals with city dwellers in *The Waste Land* who are introduced to the reader through the picture that Eliot drew of them as being lifeless, walking zombies and immoral people. They all look as a copy of the same walking dead where individuality disappears. Both Eliot's style and imagery convey that society is lifeless which is a common feeling in the period of traumas and despair following the first world war. However while reading the poem, one cannot but notice that the blame does not fall on the society in general but also specifically on those who choose to yield to the hopelessness and the immorality of the society. In *The Waste Land* the spirits are represented by the

[3] Harold Bloom. *T. S. Eliot: Comprehensive Research and Study Guide*. (Broomall, PA: Chelsea House, 1999.)

inhabitants of the unreal city; like the spirits the city dwellers are passive and isolated, looking at their feet instead of interacting with each other. These inhabitants of *The Waste Land* are like chessmen who move to their destiny without any anticipation "The people in *The Waste Land* belong to a drama that they do not understand, where they move like chessmen toward destinations they cannot foresee"[4]

In addition to the idea of individuality and the fact that these inhabitants were almost ghosts and spirits living in the superficial sense of life, they were also facing another difficulty that is the loss of identity. In this sense, *The Waste Land* is an embodiment of the loss of identity and the idea of not belonging. The city dwellers who live in such a chaotic world have lost all the links that connect them to their city, their country and their world as well. The life in the after war has affected the life of the people in that time; it made them suspect their belonging to their country

[4] Jr Cleanth, Brooks. "*The Waste Land: An Analysis". The Waste Land*. Ed. Michael North. (New York: W.W Norton & Company, 2001) p.451.

and cut all the connections among them on the one hand and between them and their country on the other hand. "The Burial of the Dead", the first section of *The Waste Land,* begins with a sense of loss of belonging that comes from the superficial life. The broken nature of the opening lines suggests that parts of a conversation are being heard “with a shower of rain, we stopped in the colonnade” “Bin garkeine Russin, stamm aus Litauen echt Deutsh” “ I read much of the night, and go south in the winter” this superficial chatter is the talk of a nation without roots. This nation is divided with no sense of belonging to the country where they live in. It could be argued that such statements are heard as an attempt from these dwellers to reestablish themselves. They engage themselves in trivial talk to escape their after war state. Eliot in this poem indicates how these dwellers have lost their roots and are unable to establish their identity. As a result, they are alive but they are not living, in other words they are no more than dead souls with living bodies. Eliot emphasizes this idea

when he asks “what are the roots that clutch, what branches grow out of this stony rubbish”. The answer is given immediately “a heap of broken images, where the sun beats” here Eliot means that we live in a total waste land where the identity of the city dwellers is lost. However these city dwellers are waiting for the Fisher King who might be an allusion to Jesus Christ to come back and bring fertility and meaning back to their lives. Here the use of the Fisher King myth is a life symbol which goes back to ancient fertility gods as Weston implies when he mentions that “we can affirm with certainty that the fish is a life symbol of immemorial antiquity, and that the title of fisher has, from the earliest ages, been associated with Deities who were held to be specially connected with the origin and preservation of life”[5]

City dwellers in *The Waste Land* are seen through the presentation of certain personas in the poem. These figures are representative of the modern city dwellers in the modern times the

[5] Hessie L Weston. *From Ritual to Rommance.* (New York. Peter Smith, 1941.) P.119

poem expresses. We have many males and females city dwellers each one of them tells us a lot about the state of the modern city dwellers in general and they explain more to us the situation and the city life in the poem in particular. Eliot's choice to enrich the poem with many female, male and transgendered figures was one of the greatest benefits that contributed to making *The Waste Land* a mirror of the modern world in general and the modern city in particular with all its social component.

Mr. Euginides is one of the important male characters in the poem. He is the embodiment of many modern city dwellers. Mr. Euginides is a Smyrna merchant. He appears with his pocket full of currants, dried grape, which might be a symbol of the dead fertility in the modern city. Like the dried grapes, the modern city is a theatre of sterility and dried fertility. However, the fact that Mr. Euginides is holding these symbols of sterility is not a coincidence. In fact Mr. Euginides is a homosexual man, he symbolizes the modern human being's obsession with abnormality

and homosexuality according to Lee so many modern writers and critics defined the modern era with the association with homosexuality according to Hermione Lee, Virginia Woolf "defined her generation's move away from Victorianism by their decision to talk openly about same-sex love". Moreover, she "felt that homosexuality was, for the next generation of writers, an exclusive passport for literary success"[6]. Michel Foucault claims that "homosexuality is in essence a construct of the nineteenth and twentieth centuries; as an essence it is just as distinctively a characteristic of modernism as are atonalism in music, Cubism in painting, or interior monologue in the novel"[7] So, the modern age is famous for this kind of sexual relationships, it is one of the hallmarks of the modern era. That is why Mr. Euginides is a representative of the modern city dweller who engages in such a kind of a homosexual relation. Moreover, homosexual relationship will actually lead to nothing, there is no hope for creating any new

[6] Hermione Lee, *Virginia Woolf. London (Chatto & Windus*, 1996. P. 614)
[7] Michel Foucault. *The History of Sexuality: An Introduction. Trans. Robert Hurley*. (New York: Vintage 1980.) p 5-6

life from such a sexual relationship, that is why Mr. Euginides, the homosexual modern man, is carrying the currants, the symbol of sterility. Homosexuality thus adds to the image of the modern city as a sterile place where no new creation is possible.

One of the most important male figures in this poem that tells a lot about the city dwellers is in fact the Fisher King. The Fisher King is a mythical figure who is crippled by a magical wound and spends his days fishing on a lake near his castle. The fisher king is the guardian of the Grail, and his closeness to this object of supernatural healing makes it impossible for him to die of his injury, although such injury is somehow so deep that even the Grail is unable to completely heal it. Thus the Fisher King, like the waste land and its inhabitants, can neither change nor end his existence. When we read the poem we do not see a clear direct mentioning of the Fisher King, however Eliot alludes to him several times in the poem. This allusion to the Fisher King makes us connect this figure with the modern city dweller in the sense that

this city dweller is never fully present in the city they live in. They are spirits roaming in the city that is why it suits to allude to the figure more than mentioning it clearly. To add, the Fisher King is wounded and unable to bring fertility back to his land, so he is somehow sterile, the same applies for the city dwellers, they are sterile because they are engaged in immoral and homosexual activities which can bring only sterility to the city. However the fact that this Fisher King is waiting for the Grail to bring back fertility to his land makes the reader sense that there might be a hope after all for those city dwellers. They might be able to find the Grail as well and bring fertility back to the modern city they live in. So just like the Fisher King who is unable to die and destined to wait for a restoration of the fertile state of the land, the city dwellers of the waste land are destined to live in this half alive state until this time of restoration of life or the regeneration time comes. The Fisher King spends his time waiting and fishing in the lake, the city dwellers do the same spend their time roaming in the city like

spirits. The Fisher king is waiting to restore his land to its former prosperity through outside help which is the Questing Knight, the city dwellers are waiting for Jesus Christ[8] to resurrect and bring them their regeneration back. The fact that this figure, The Fisher King, is a mythical one strikes in our minds the fact that Eliot's intention or suggestion for any kind of regeneration lies in the past, in old and mythical legends. That is why future regeneration and resurrection lie actually in the past where faith, roots, origin and order exist.

When we talk about city dwellers in *The Waste Land* we should shed light on the female city dwellers and how they were presented through the female figures in such a poem. Eliot in *The Waste Land* pictures the dwellers of the modern wasteland as only half alive, whose main wish is death. To explain this fact about the

[8] It is worth mentioning here that the mentioning of Jesus Christ in this sentence is done figuratively. What I mean by Jesus Christ is any spiritual power that brings the modern man his faith again.

inhabitants of the wasteland, Eliot employs the myth of Sibyl, the symbol of fruitlessness in the ancient Greek tradition. Sibyl was a Greek woman who was granted a long life but not permanent youth and beauty. As she grew older, she became uglier and smaller in size, hoping for death. She got a futile wish of death that might symbolize all the protagonists when, being asked, "Sibyl, what do you want?" she replies, "I want to die".[9] Actually the first part of this poem clearly focuses on the idea that these city dwellers who symbolize the modern human being in general actually enjoy death. It is not only Sibyl who wishes for death, people are afraid of life, they hate April, the fertility season "April is the cruelest month", and they enjoy winter the season in which life fades "Winter kept us warm, covering/Earth in forgetful snow, feeding/A little life with dried tubers."

One of the most important females figures in *The Waste Land* is Madam Sosotris who does not only tell about female

[9] Cleanth Brook, "*On the Waste Land " from Modern Poetry and The Tradition* (North Carolina: University of North Carolina press, 1939),p.1.

figures, but also speaks a lot about the minds and beliefs of these city dwellers who fall under the spell of superstition. Introducing Madame Sosotris, Eliot introduces the essence of the poem through such a figure with her “wicked pack of cards”. Eliot reflects on people’s attachments to superstitions. People, devoid of spiritual belief, are likely to accept Madame Sosotris’ fortune-telling as an alternative to religion. “Thus any reminder of any religious messengers and oracles, have lost most of their insights and the efforts will fail because Madame Sosotris's advice is to "Fear death by water," or to welcome it as an essential sacrifice. "Madonna, the Lady of the Rocks, / The lady of situations," Sosotris is a “prime symptom of the decay of religion into superstition.” With her hand of cards, she sees the fortune of the main symbolic characters of the poem”[10]

Madame Sosotris, famous clairvoyante,

Had a bad cold, nevertheless

[10] The Twenties , p. 333

Is known to be the wisest woman in Europe,

With a wicked pack of cards.

From these lines we can see that she is a fraud, a symbol of the nonsense and the superstition the modern human beings concern themselves with. Using the Tarot pack, she mentions the names as well as the roles of the main figures in the modern wasteland. Besides, she predicts drawing to one of them, which is a way of cleaning human being from his/her moral dirt and sins. But she knows nothing of divine knowledge. She does not find the Hanged Man who represents the figure of Christ, the principle of life and salvation for the modern wasteland. Then, she sees a "crowd of people, walking round in a ring." This item seems to be the fortune of the common people in the waste world who go in a circle, representing their sterile purpose in life. They are "ironically similar to the Grail procession displaying the talismans in the

legend."[11]Through the figure of Madame Sosostris, Eliot implicitly contrasts the claims of the soul. Eliot believes that modern human being suffers the pain of spiritual death. He tries not only to diagnose this fault but also to suggest the possibility of salvation at the end of the poem.

Female representation does not stop with Madame Sosostris, in "A Game of Chess". Eliot compares a woman, who is surrounded by lavish and exotic materiality, with a woman who is physically unattractive. These two women are sterile and unable to bear children. Eliot describes the first woman through the object that surrounds her "burnished throne, fruited vines, candelabra, jewels, vials of ivory, and a carved dolphin". Eliot, however, describes the second woman as an ugly individual who receives advice from her friend to correct her flaws. The woman believes her abortion pills are the cause of her physical appearance. She embodies the core of Eliot's ideology. She is a woman who fully

[11] Fredrick. J Hoffman "Science and The Precious Object" The Twenties: American Writing in the Postwar Decade, rev.ed. (New York: Free Press, 1965)

represents her culture; for she married to a British Army soldier and talking to her friend at a local English pub. She, however, is barren. The first woman is associated by allusion with Cleopatra or Dido, two great queens who committed suicide for love. The second woman has done everything the right way married, and supported her soldier husband, begot children yet she is being punished by her body. Interestingly, this section ends with a line echoing Ophelia's suicide speech in "Hamlet" which links her to the woman in the first section of the poem, who has also been compared to famous female suicides. The opening two stanzas of "The Fire Sermon" describe the ultimate" wasteland" as Eliot sees it. This echoing of Ophelia's death works to show the contrast between love in the past and love relationships in the present. In the past, Ophelia got mad because she was kept away from her lover while this woman in the modern world wants her husband to be away from her. This clearly shows how fragile and superficial modern relationships between city dwellers are.

Eliot's use of the myth of "Philomel", another female figure, has a psychological implication. "Philomel" was rudely raped by a barbarous king. This mythical incident implies humiliation to a human being by the effect of a sexual desire. George Williamson argues that "the desecration of human life by the dominance of lust is implied in the reference to the "Philomel myth." Like "Philomel", this modern woman is humiliated by the same sexual impulse since she is reduced to mere animalism. Eliot also implicitly suggests a contrast between the two women. The ancient rape of "Philomel" has transformed the voice into an "inviolable voice"[12] Here her voice resembles the modern woman's voice which has not been transformed into a beautiful cry; but rather, it has become hysterical and heard by no one. This means that woman is isolated and lonely even in her own suffering. Philomel represents the modern woman who is used for sexual pleasure, raped and made silent by cutting her tongue. The

[12] *George* ,Williamson. *A Reader's Guide to T. S. Eliot* . London: Thames and Hudson, 1955.p. 136

woman is used for sexual pleasure in old times and modern ones alike. Her voice is unheard and she is made silent by force. There is no way the woman is able to set herself free and expresses herself, the society will not let her, the same way Philomel is made silent, the society will force the woman to be silent. The fact that Philomel is turned into a nightingale is not liberating as so many people think, it is humiliating because it is as if we say the only way for a woman to speak up and to express herself is to change into something else, to wear another uniform. Here in this poem, Philomel changes into a nightingale, it is an animal; it is not liberating, but rather it is humiliating and it tells a lot about the state of women in every age. So it is like saying that no matter how times change, the state of woman is the same in the old ages and in the modern ones.

When we look at these female figures and the way they represent the modern woman, we notice that they are all the same women whether they are Philomel who was made silent or Lil who

is judged for her physical appearance. These women are all the same, they all subject for oppression by the society treats them as sexual objects that is why they should look nice for their husbands and whenever they have a will to express themselves, they are made silent and their tongues get cut. This society is sick with boredom caused mainly by sexual desire.

This boredom and sexual desire are the main features of the relationship between these dwellers in such a society. In fact, city allows for creating complex relationships more than any other location because of the complexity of the city. Besides, a society that is full of boredom and lifeless city dwellers will only produce a cold and loveless kind of relationships in which the emotions and feelings disappear and the sexual relationship becomes something mechanical that should be done although it is void of feelings. To talk about the social and physical relationships in this poem, we should mention three main types of relationships that appear clearly in the poem. The first type of relationships is an allusion to

various literary works. For example, one of them is an allusion to Wagner's opera "Tristan and Isolde". In this opera Isolde is unhappy about her engagement to the king whom she does not love. Moreover, she falls in love with a knight named Tristan. However, in the end, both lovers die tragically because they do not want to give up their love. The second allusion is to Ovid's *Metamorphoses* in which a description of the relationship between a king and his sister in law, Philomela, appears. King Tereus rapes his sister in law and cuts her tongue to make her silent. After that she escapes and turns into a nightingale. The third allusion is a reference to Queen Cleopatra since there is a reference in the poem to a woman sitting on "chair…like a burnished throne" which is an adaptation of Shakespeare's *Antony and Cleopatra*. In this play, Mark Antony thinks that his beloved, Cleopatra, is dead so he commits suicide, when she is awakened finally and finds out that her beloved is dead, she in turn commits suicide by a snake bite. Eliot in presenting these three allusions,

presents the kind of relationships that are associated with despair. In *Metamorphoses* and Tristan and Isolde, both women are forced to be with men they do not love. And all of these three relationships involve violence and end tragically. This tells a lot about the relationships in such a city and how they are all destined to have a tragic end since love does not have a space in this modern city. Moreover, women in this kind of relationships are forced to be a sexual partner of a male they do not love or desire. They also do not have a say in their future, they are forced either to marry a king or to be silent forever because some king raped them and forced them to keep silent.

The second type of relationships that appears in the poem is the relationship between a husband and a wife, Albert and Lil. We listen to their story from the narrator who is in this time a woman in a bar giving her friend a piece of advice. Here the husband, Albert, is returning home from war and while he was away Lil's appearance became unattractive. Here the narrator is

criticizing Lil saying “you ought to be ashamed, I said, to look so antique” here the woman is saying that the man has been in war for a long time and he needs “a good time” she is implying that Lil’s duty is to satisfy him sexually and if she does not, others will be glad to do it. At this point Lil tries to defend herself saying that her unattractiveness is caused by the abortion bills she used to take “It’s them pills I took, to bring it off, she said” The narrator here condemns Lil for her unwillingness to give birth to her sixth child saying that “what you get married for if you do not want children” as if the only purpose of marriage is to satisfy the husband’s sexual desire and to reproduce. Here the opinion of the narrator may be a reflection of the society’s opinion because at the time of the poem women were expected to get married to satisfy their husbands and to give birth to children regardless of their personal desires. Here this relationship reveals a lot about the type of relationship between men and women at that time, it also reflects the status of women as well since the marriage of a

husband and a wife appears to be loveless and void of any feelings where the desire of women is not taken into consideration and her existence serves only to please her husband.

The final relationship discussed in the *Waste Land* is when the blind prophet, Tiresias, describes a sexual relationship between a female typist and a male clerk. This type of relationship is presented through two examples of modern figures a "clerk" and a "typist". These two figures reflect a lot about the relationship between these two modern people without any allusion to the past. They present the present which surprisingly has something in common with the past. Even their names mirror their personalities. For example the typist is "named metonymically for the machine she tends, so merged with it, in fact, that she is called the "typist" even at home" [13]The woman is alone at home preparing a meal when a man enters:

[13] Michael ,North. *The Political Aesthetic of Yeats, Eliot, and Pound*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991

The typist home at teatime, clears her breakfast, lights

Her stove, and lays out food in tins.

He, the young man carbuncular, arrives,

A small house agent's clerk, with one bold stare,

One of the low on whom assurance sits

As a silk hat on a Bradford millionaire,

The time is now propitious, as he guesses,

The meal is ended, she is bored and tired,

Endeavours to engage her in caresses

Which still are unreproved, if undesired.

Flushed and decided, he assaults at once;

Exploring hands encounter no defence;

His vanity requires no response,

And makes a welcome of indifference.

Although this man notices that his woman is "bored and tired" he still wants her to be engaged with him in a sexual

activity. Here the man is only interested in the pleasure he is going to receive regardless of the woman's desire, he "makes a welcome of indifference" which means that he wants her to be disinterested in this activity. Here the desires of the man are mainly sexual, they do not include any kind of feelings or emotions. The sexual intercourse of this couple summarizes the theme of lust in the poem. Their sexual act has no passion. This loveless sex increases the woman's boredom "Well now that's done: and I'm glad it's over." The episode of the typist with the clerk serves to emphasize the idea that modern man is a slave to his biological needs. This episode also highlights the mechanical relationship between them, as Burton Blistein writes: "Men and woman are in [Eliot's] view hardly more than automata or 'crawling bugs' that spawn and die… Just as a record always repeats the same tune, so we encounter repeatedly 'Birth, and copulation, and death.' Sustained by craving"[14] As Blistein says,

[14] Burtan , Blistein. *The Design of the Waste Land.* University Press of America. New York, 2008.

there is no love involved in the exchange. It is also primal cravings and urges that even the most basic forms of life understand. We follow, in this view, a very strict form of life that never changes, especially in a world that is constantly pulling individuals apart[15]. The clerk and the typist are a great example of the modern man and woman and the relationship between them. The modern man is obsessed with his sexual desires. To add, his sexual desires seem to be extreme, he likes to have sexual intercourse with his wife even though she does not want to. But the woman seems bored as she lost every sexual interest; though that she is willing to give him what he wants as if her role is to satisfy him regardless of what she wants or does not want.

The narrator of this scene is the blind prophet from Greek mythology, Tiresias. He lived for some time as both a male and a female. This emphasizes the importance of gender in the poem. "has lived as both man and woman, as both sighted and blind, in

[15] .Design of 'The Waste Land'. P.241-2

both this world and the next – where he continues to function as a seer, with command of time past, present, and future. Furthermore, in Sophocles's *Theban Trilogy,* it is he who sees the cause of the city's suffering"[16] Because of his knowledge of both sexes, Eliot describes Tiresias as " the most important personage in the poem, uniting all the rest"[17] and says that " the two sexes meet in Tiresias. What Tiresias sees, in fact, is the substance of the poem"[18]. Tiresias' explanation of the sexual activity in this scene is essential to understanding the gender relations that is presented in the poem. Also, choosing Tiresias to comment on this scene is important for he is a mythical figure who comes from classical times, however, he is commenting on a scene from the modern life. This actually helps to connect the classical times to the modern ones. The fact that Tiresias, the transgendered figure is commenting on this scene between the clerk and the typist

[16] Coyle, M. Fishing, with the arid plain behind me: Difficulty, Deferral, and Form in The Waste Land. In Chinitz, David E. (Ed.), A Companion to Eliot (pp 157-167). West Sussex: Blackwell Publishing Ltd. 2009

[17] M artin ,Scofield. *T.S.Eliot: The Poems*. Cambridge University Press, 1988(p.133)

[18] The poems.

helps to relate Tiresias to both the woman and the man in this scene since he is a woman and a man at the same time. Tiresias also represents the past and the present, he is a classical figure who is commenting on a modern scene so he is in fact connecting the past to the present. The fact that Tiresias is blind yet he is able to see more than any other figure tells a lot about the city dwellers in this poem. He is blind physically but he is able to see spiritually, this can relate to these modern city dwellers who are presented as dead due to their emergence in the physical world however they will able to be alive and see when they reach spiritual awareness and maturity. So what matters is not the physical ability to see, what matters is being able to see spiritually, to be fully aware.

As we have already seen, Tiresias is the key to rebirth and regeneration in the poem, he is the reminder that rebirth is there when those dead blind city dwellers step up from their emergence in the physical and material world and reach the spiritual and

moral world. Thus we see that although Eliot presented the city dwellers as immoral, dead and blind people, he was determined to leave them a space and a chance for rebirth and regeneration. The regeneration of the city dwellers is felt in *The Waste Land* as much as the regeneration of the city they live in is felt in this poem. People are ghosts who are void of life walking in the streets of this city, passing over the London bridge, engaging in all sorts of immorality, yet there might be a rebirth awaiting for them only if they are willing to. As we have seen them at the beginning of the poem sharing a hatred for April since it is the month of cruelty, however at the end of the poem we hear the sound of the thunder announcing the coming of the rain which is regarded as a symbol of rebirth and a symbol of life. Thus life is possible, we hear its footsteps coming and we are waiting for its arrival at the end of the poem.

All in all, the image of the dwellers as lifeless walking dead and the representation of the female figures in the poem, as well as the emphasis of the relationship between men and women in such a place collaborate in highlighting the main theme of the poem. That is the dwellers and inhabitants of this city were the mirror that reflects how city is presented in the poem on the one hand and reflects the state of the social relationship in the modern world on the other hand. The inhabitants of this waste land whether mythical figures or modern figures helped the poet not only to shed light on the modern social state, but also to create a connection between the past and the present. Eliot's *The Waste Land* is also considered to be fine document of social criticism. It criticizes the spiritual emptiness and desolation the modern human being suffers from on the one hand and it also sheds light of the state of women in this modern age and it connects it to other previous eras. The poem did not stop at just picturing the present modern world, Eliot in his poem, after criticizing the sterility of the

city and the city dwellers, suggests a solution. The solution is done through the process of rebirth and regeneration. This rebirth process has its roots in the past, and the only way to reach it is when these modern inhabitants are willing to sacrifice and arise from their sterility to reach the aimed at fertility.

Bibliography

Blistein, Burtan, *The Design of the Waste Land* (New York University Press of America, 2008).

Cleanth Brook, *"On the Waste Land " in Modern Poetry and The Tradition* (North Carolina: University of North Carolina press, 1939)

Chinitz, David E. ed., *A Companion to Eliot* (West Sussex: Blackwell Publishing Ltd. 2009).

Coyle, M. Fishing, with the arid plain behind me: Difficulty, Deferral, and Form in *The Waste Land*. In Chinitz, David E. (Ed.), *A Companion to Eliot* (pp 157-167). West Sussex: Blackwell Publishing Ltd. 2009

Foucault, Michel, *The History of Sexuality: An Introduction*. Trans. Robert Hurley (New York: Vintage,1980).

Fredrick. J Hoffman, "Science and The Precious Object" *The Twenties: American Writing* North, Michael. *The Political Aesthetic of Yeats, Eliot, and Pound* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991).

Oser, Lee, *The Ethics of Modernism: Moral Ideas in Yeats, Eliot, Joyce, Woolf, and Beckett* (New York: Cambridge University, 2007).

Sarker, Suhil Kumar, *T.S. Eliot: Poetry, Plays and Prose*. (New Delhi : Atlantic Publisher &Distributers LTD, 2008.)

Weston, Hessie L, *From Ritual to Romance* (New York. Peter Smith, 1941).

Williamson, George, *A Reader's Guide to T. S. Eliot* (London: Thames and Hudson, 1955).

دراسة تداولية لخطاب الأطفال ذوي اضطراب التوحد : نظرية أفعال الكلام

إعداد **ذكرى اليوسف**[1] إشراف **د. زينب منصور**[2]

ملخّص

الاعتراف بالتوحد حديث ، يعود ذلك إلى العالم النمساوي ليو كانر. وهو عبارة عن اضطراب مبكر يظهر لدى حديثي الولادة منذ سن مبكرة ، يتميز بعجز قوي يؤثر على مناطق الدماغ المسؤولة عن المواقف التواصلية الاجتماعية واللغوية لدى الطفل.

في هذا العمل ، سنتناول تحليل السمات الخطابية لدى الأطفال المصابين باضطراب طيف التوحد. سنقترح ملاحظة لأفعال الكلام (فعل القول، الفعل المتضمن في القول، الفعل الناتج عن القول) في خطاب التوحد بحثًا عن فهم أفضل ومعرفة أفضل لهذه الفئة المنسية من المجتمع.

تتكون البيانات من مقاطع فيديو قمنا بتسجيلها في مركز متخصص في التوحد في حمص (جمعية الربيع لرعاية المصابين بالتوحد).

لقد تمكنا من القول إن خطاب المصابين بالتوحد بسيط. يتعلّق بوصف حالة ما من خلال أعمال الشرح والتعبير عن الذات وإعطاء أي معلومات.

ومع ذلك ، تستمر الأبحاث سعياً للوصول إلى وصف دقيق للتواصل بين المصابين بالتوحد.

الكلمات المفتاحية: التوحد ، اضطراب طيف التوحد ، أفعال الكلام ، الكلام ، النطق، الجملة.

[1] طالبة ماجستير في قسم اللغة الفرنسية وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق

[2] دكتورة في قسم اللغة الفرنسية وآدابها، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق

Étude pragmatique du discours chez les enfants présentant un trouble du spectre de l'autisme : la théorie des actes de langage

Présenté par
Zikra AL-YOUSIF[3]

Sous la direction de
Dr. Zeinab MANSOUR[4]

Résumé

La reconnaissance de l'autisme est récente, elle est référée au scientifique autrichien Léo Kanner (1943). Il s'agit d'un trouble précoce émergeant chez le nouveau-né dès le premier âge, se caractérise par des déficits vigoureux qui influencent les zones cérébrales responsables des attitudes communicatives sociales et langagières chez l'enfant.

Dans ce travail, nous tenterons de mettre l'accent sur les caractéristiques discursives chez les enfants souffrant du trouble du spectre de l'autisme. Nous proposerons une observation des actes de langage (locutoire, illocutoire, perlocutoire) dans le discours autistique en quête de mieux comprendre et connaitre cette catégorie oubliée de la société.

Les données sont composée de vidéos que nous avons enregistré dans un centre spécialisé d'autisme à Homs (Association d'Al-Rabii pour soigner les autistes).

Nous pouvons dire que le discours des autistes est simple. Il s'agit de décrire une situation à travers des actes expositifs, à s'exprimer et à donner une information quelconque.

Cependant, les enquêtes poursuivent pour arriver à une description univoque de la communication chez les autistes.

Mots-clés : autisme, trouble du spectre de l'autisme, actes de langage, discours, énoncé.

[3] Étudiante de master, Département de français, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université de Damas.

[4] Professeur, Département de français, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université de Damas.

Introduction

Ce travail est consacré à l'étude des actes de langage dans le discours des enfants atteints du trouble du spectre de l'autisme. Ce terme-ci, très répandu récemment, a suscité la curiosité chez beaucoup de chercheurs dans les dernières soixante années. Il s'agit d'un désordre enfantin dont les origines sont encore inconnues jusqu'à nos jours. L'ambiguïté qui entoure ce trouble a fait couler beaucoup d'efforts académiques en quête de repérer les causes directes pour lesquelles l'enfant est né avec l'autisme.

Nous étudierons le discours autistique notamment chez les enfants qui manifestent des compétences langagières marquantes.

Ainsi, cette étude s'inscrit dans le domaine de l'analyse de discours et s'insère dans le terrain de l'étude pragmatique. Le corpus est constitué d'un groupe de vidéos que nous avons filmés dans l'association AL-Rabii pour soigner des autistes à Homs.

Ce thème traite les enjeux théoriques qui constitue la pierre de base de l'analyse pratique : la théorie des actes de langage élaborée par Austin (1970). En outre, cette étude présente une analyse des actes de langage dans le discours des autistes. La conclusion évoque des aboutissements fondamentaux du travail et ouvre de nouvelles horizons sur des études postérieures.

Intérêt général et particulier du choix du sujet

Dans ce travail, nous esquissons à savoir les techniques discursives que les autistes y ont recours dans le discours. Il s'agit de découvrir et d'analyser les actes locutoire, illocutoire, perlocutoire chez les autistes en vue d'améliorer notre connaissance académiques de ces enfants.

Originalité du sujet

L'autisme a édifié constamment le centre d'intérêt des scientifiques autour du monde. Citons à titre d'exemple Nadège Foudon dans une thèse intitulée *L'acquisition du langage chez les enfants autistes : Étude longitudinale* (2008), et Sarah Bendiouis dans sa thèse intitulée *Imitation et communication chez le jeune enfant avec autisme* (2015). Chez nous, les recherches ayant pour objet d'étudier l'autisme s'inscrivent uniquement dans le domaine de l'analyse sociologique et psychologique. Nous remarquons le manque d'études qui s'intéressent à l'autisme dans le domaine des sciences du langage. L'originalité de ce travail réside en étant une des rares études abordant le phénomène de l'autisme d'un point de vue pragmatique.

Problématique

Cette étude a pour objet d'acquérir une réponse convenable aux questions suivantes :

- La théorie des actes de langage est-elle applicable en cas d'autisme ?
- Quelles sont les techniques discursives utilisées par les autistes en produisant des énoncés ?
- Sous quelle forme présentent-ils ces techniques ?
- Quels sont les caractéristiques du discours chez les autistes ?
- Quels sont les actes fréquents dans le discours des autistes ?

Nous nous efforcerons d'emblée de démontrer que le discours des autistes a une charge pragmatique indéniable. Nous aurons tendance à manifester que les énoncés que les autistes produisent ont des significations ainsi que des règles grammaticales et pragmatiques correctes.

La pragmatique : aperçu théorique

La pragmatique est *« l'usage du langage dans le cadre de la communication, y compris l'expression et la compréhension des intentions communicatives et la connaissance des conventions sociales qui régissent les interactions »*. (Hirep, 2013, p.17).

La pragmatique est une branche de la linguistique qui s'intéresse à l'usage de la langue dans un contexte distinct ainsi qu'à la relation entre le signe linguistique et l'interlocuteur.

Le terme "pragmatique" voit le jour pour la première fois par le sémioticien américain Charles William Morris qui distingue trois

dimensions sous-jacent à la linguistique (syntaxe, sémantique, pragmatique). D'après Morris la sémantique est « la relation entre les signes et les designata ou les denotata;[5]» , « syntaxique, la relation des signes entre eux », alors que la pragmatique est « la relation entre les signes et leurs utilisateurs ». *(Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, 1972, p. 117).*

Nous traitons ici la théorie des actes de langage qui est considéré comme étant une des notions primordiales des études pragmatiques. La théorie des actes de langage a été élaborée de prime abord par le philosophe J.L. Austin dans son livre intitulé *How to do things with words* (traduit en français par *Quand Dire, C'est Faire*) et a été développée ultérieurement par J.R. Searle (1972).

En abordant cette théorie, Austin nie toute vérité qui consiste à attribuer au langage un rôle descriptif en s'opposant aux études antérieures selon lesquelles le langage a pour fonction de décrire une réalité et que toutes les affirmations qu'il désigne comme des énoncés constatifs visant à décrire un fait peut être vrai ou faux. (Austin, 1970).

Alors, en réfutant la conception descriptive du langage, il marque que la fonction du langage réside en étant utilisé pour effectuer

[5] Les désignata est une catégorie d'objets ou une classe d'objets, on peut accorder à la classe plusieurs ou un seul éléments, tandis que les donetata est les éléments d'une classe. (Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, 1972, p. 117).

des actes comme donner des ordres, offrir des conseils pour influencer les convictions et les intentions des individus. (*ibid*).

Performatifs/Constatifs

Austin discerne deux classes d'énoncés, les performatifs et les constatifs. Les performatifs sont des énoncés qui visent à faire quelque chose. Ils ont pour objectif d'accomplir des actions (de promettre, de se marier, etc.), tandis que, les constatifs sont des énoncés qui sont destinées à simplement décrire un état de chose ou à affirmer un fait quelconque. (Austin,1970).

Exemples :

1- Il lit un roman.

2 - Je me marierai le mois prochain.

Le premier énoncé est constatif. Il vise à décrire un état de chose, alors que le deuxième énoncé est performatif, consiste à accomplir un acte.

Les performatifs ne se soumettent pas aux critères de la vérité auxquels les énoncés constatifs peuvent répondre. D'après Austin, les performatifs répondent aux critères de « Félicité » plutôt que de la vérité, il insère le terme *échecs* en visant à caractériser ces énoncés. Par exemple, l'énoncé « je vous promets de venir » est considéré comme raté si la personne qui produit cette phrase n'a pas tenu sa parole. (*ibid*).

Les actes de langage

Suivant la distinction des énoncés performatif/constatif, Austin finit par pointer les limites de cette distinction en proposant que chaque énoncé a une valeur d'acte, en d'autres termes tout énoncé possède une tâche pragmatique qui réponde au contexte de l'énonciation. Il a distingué trois types d'actes que le langage peut produire. (Austin, *op, cit,* p.114).

- **L'acte locutoire** : c'est l'acte de produire des sons et des mots constituant des énoncés qui sont doués d'une grammaire et d'une signification. Autrement dit, il s'agit de l'acte de dire quelque chose.

Ex : *Il me dit : « Tu ne peux pas faire cela. » L'acte locutoire, c'est voulant dire par « peux » peux et se référant par « tu » à je.* (Austin, *op. cit*, p.114) ;

- **L'acte illocutoire** : c'est l'acte exécuté en disant quelque chose. Il s'agit de la force illocutoire que le locuteur accorde à son énoncé (souhait, ordre, conseil). Citons le même exemple pris ci-dessus.

Il me dit : « Tu ne peux pas faire cela. », l'acte illocutoire c'est protester contre mon acte. (Austin, *op. cit*, p.114) ;

- **L'acte perlocutoire** : c'est l'acte qui consiste à faire quelque chose en disant quelque chose. Austin parle de l'objet du

locuteur en produisant un énoncé (persuader, convaincre, empêcher).

L'exemple : *Il me dit : « Tu ne peux pas faire cela. », l'acte perlocutoire c'est m'empêcher de faire cet acte.* (Austin, *op. cit*, p 114).

Typologie d'acte illocutoire

Austin envisage le postulat de classer les forces illocutoires que l'énonciation peut produire, il en distingue cinq catégories : (op. cit, p. 153)

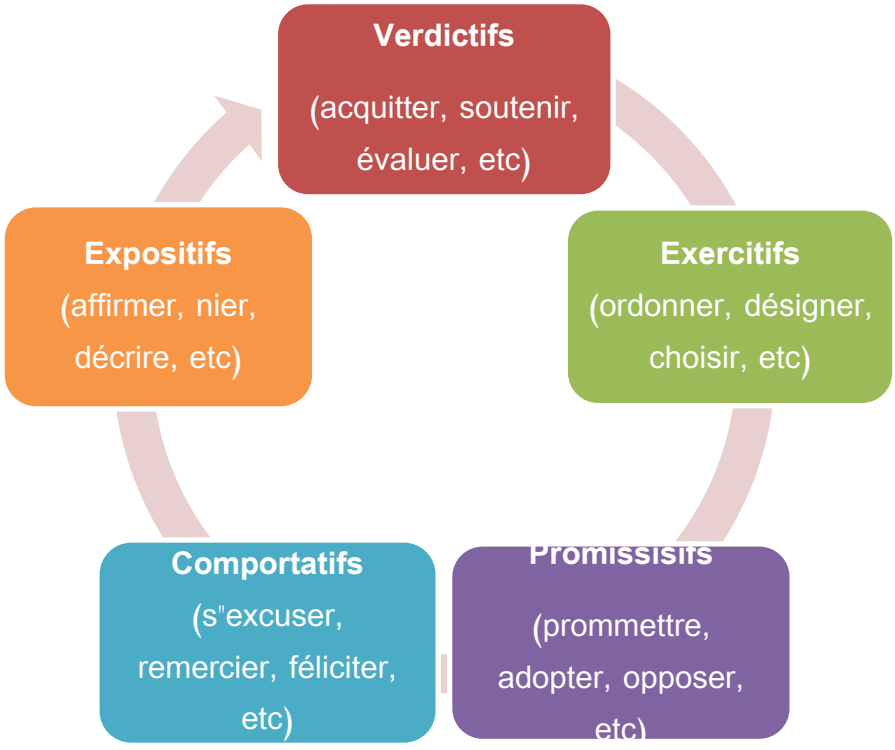

Cette classification a été critiquée plus tard par Searle (1972) qui tend à instaurer une classification différente des valeurs illocutoires. Nous adoptons ici la typologie d'Austin uniquement.

L'autisme

> *Le trouble du spectre autistique est caractérisé par des déficits persistants de la communication et des interactions sociales observés dans des contextes variés. Il s'agit notamment de déficits dans les domaines de la réciprocité sociale, des comportements de communication non verbale utilisés au cours des interactions sociales, et du développement, du maintien et de la compréhension des relations ».* (Manuel diagnostique et statistique des trouble mentaux, 2013, p. 34).

Le terme autisme vient du grec « auto » signifiant « soi-même ». Il est employé pour la première fois en 1911 par le psychiatre suisse Eugène Bleuler qui l'utilise pour désigner dans la schizophrénie adulte la perte du contact avec la réalité extérieure qui rend difficile ou impossible pour le patient toute communication avec l'Autre. (Matergia, 2014).

La description du trouble autistique est récente. Sa première reconnaissance était entre 1943 et 1944 dans les articles des deux scientifiques autrichiens Léo Kanner et Hans Asperger considérés comme les pères de l'autisme. En fait, Kanner était le premier à décrire les symptômes d'une maladie psychologique

paraissant chez l'enfant dans ses premières années qui se caractérise par l'isolement et le retard du développement langagier. Il explique dans son article *Autsitic disturbances of affective contact*, publié en 1943, le cas spécifique d'un groupe infantile composé de 11 enfants présentant des particularités comportementales comme : le manque d'intérêt et les difficultés dans la communication verbale et non verbale. (Kanner, 1943).

En 1944, Hans Asperger, dans son article traduit en français sous le titre de *psychopathie autistique de l'enfance*, décrit un groupe de 4 enfants montrant des aptitudes bizarres « *un manque d'empathie, d'une faible capacité à se créer des amis, d'une conversation unidirectionnelle, d'une intense préoccupation pour un sujet particulier, et de mouvements maladroits* ». (Matergia, *op. cit*, p. 8)

Les travaux d'Asperger restent méconnus jusqu'aux années 1981, alors que Lorna Wing les met en avant dans son article publié en anglais *Asperger's syndrome : a clinical acount*. C'est avec le travail de Wing qu'on a reconnait la naissance de la notion du syndrome d'asperger[6].

[6] un trouble de validité nosologique incertaine, caractérisé par une altération qualitative des interactions sociales réciproques, semblable à celle observée dans l'autisme, associée à un répertoire d'intérêts et d'activités restreint stéréotypé et répétitif. Il se différencie de l'autisme essentiellement par le fait qu'il ne s'accompagne pas d'un déficit ou trouble du langage, ou du développement cognitif. (Malgouyres et Crémiers, 2012, p. 31).

Classification

Selon le DSM-V (Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux, 2013, 5ème édition), l'autisme englobe trois niveaux de trouble neurobiologique, classifiés selon le degré de la sévérité, le tableau suivant illustre cette classification :

La sévérité	***Communication sociale***	***Comportements restreints et répétitifs***
Niveau 1 *« nécessite une aide très importante »*	*De graves déficits au niveau des compétences de communication sociale verbale et non verbale, provoquant des déficiences graves dans le fonctionnement.* *Initiation très limitée des interactions sociales et une réponse minimale aux avances sociales des autres.*	*Manque de souplesse des comportements, difficulté extrême à faire face au changement* *Ou d'autres comportements restreints / répétitifs interférant nettement avec le fonctionnement dans tous les domaines et* *grande détresse / difficulté à changer d'orientation ou d'action*

Niveau 2 *« nécessite une aide importante »*	*Déficits marqués au niveau des compétences de communication sociale, verbales et non verbales.* *Atteintes sociales apparentes, même avec supports en place.* *Initiation limitée des interactions sociales, avec réponses réduites ou anormales aux ouvertures sociales des autres.*	*Inflexibilité du comportement, difficultés à s'adapter au changement.* *D'autres comportements restreints / répétitifs assez fréquents pour être évidents à l'observateur occasionnel et interférer avec le fonctionnement dans plusieurs contextes* *Mise au point ou l'action détresse et / ou des difficultés à changer.*
Niveau 3 *« nécessite de l'aide »*	*Sans soutien en place, déficits au niveau de la communication sociale provoquant des déficiences notables.* *Difficulté à initier des interactions sociales, exemples clairs de réponse*	*Inflexibilité du comportement, interférence significative avec le fonctionnement dans un ou plusieurs contextes.* *Difficulté de commutation entre les*

	atypique ou échec aux ouvertures sociales des autres. *Semblance d'un intérêt diminué pour les interactions sociales.*	*activités* *Problèmes d'organisation et de planification entravant l'indépendance.*

(Garcin et Moxness, 2013, p. 16).

Méthodologie de recherche

En vue de tirer les données significatives, nous avons envisagé d'étudier le discours d'un groupe d'enfants autistes dits verbaux dont nous avons filmé des vidéos dans l'association Al-rabii pour soigner des autistes à Homs. Nous avons choisi d'étudier de précis énoncés du discours autistique. Nous avons procédé, en même temps, d'analyser certains énoncés des enseignantes pour comparer les résultats obtenus entre les deux. Par la suite, nous avons traduit le discours en français en le transcrivant en phonétique arabe.

Analyse des données

Nous analyserons les données en adoptant la classification instaurée par Austin, 1970.

- **Cas 1** :

Niveau d'autisme	Âge	Genre	Contexte
Niveau 3	10 ans	un garçon	L'enseignante fait une conversation normale avec l'enfant pour tester sa communication.

– Prenons l'énoncé : « *nous sommes allés où, la semaine dernière Naïme ?* »

Acte locutoire : il constitue un acte locutoire si le « nous » est référé à « nous », et si le verbe « aller » est employé au sens de « sortir ».

Acte illocutoire : c'est demander des informations spécifiques. Il s'agit de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est susciter l'autiste à communiquer et tester ses compétences langagières.

– Prenons également l'énoncé : « *la semaine prochaine, il ira à la piscine* »

Acte locutoire : dans cet énoncé l'acte locutoire affronte un problème le « il » est censé être « je », l'inversion du pronom personnel chez l'autiste rend l'acte incomplet, et le verbe « aller » est supposé signifier « sortir ».

Acte illocutoire : c'est donner des informations sur lui-même. C'est la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est répondre à la question de l'enseignante.

- Citons de même l'énoncé suivant : *« il est interdit de faire des mouvements* »

Acte locutoire : l'acte est locutoire si le « il » renvoie à un référent indéterminé (impersonnel), et si le verbe « interdire » est employé au sens de « dissuader ».

Acte illocutoire : c'est protester contre cet acte ; valeur illocutoire comportative.

Acte perlocutoire : c'est convaincre de s'arrêter de faire quelque chose.

- L'énoncé « *Soulimane a gagné* »

Acte locutoire : l'acte est locutoire si « Soulimane » renvoie à un référent déterminé (personne), et si le verbe « gagner » est employé au sens de « remporter ».

Acte illocutoire : c'est décrire un évènement. Il s'agit de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est déclarer le résultat d'une compétition.

– L'énoncé « *nous nous rafraîchissons* »

Acte locutoire : il constitue un acte locutoire si « nous » renvoie à un référent déterminé « nous », et si le verbe « rafraîchir » veut dire « se rendre frais ».

Acte illocutoire : c'est donner une information ; valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est réagir aux questions l'enseignante.

– Citons de même l'énoncé : « *elle a voyagé à l'Arabie Saoudite* »

Acte locutoire : l'acte est locutoire si « elle » est référé à « elle », et si le verbe « voyager » veut dire « se déplacer ».

Acte illocutoire : c'est donner des informations. Nous parlons de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est susciter l'intérêt de l'enseignante.

- **Cas 2 :**

Niveau d'autisme	Âge	Genre	Contexte
Niveau 2	10 ans	Une fille	L'autiste a entre les mains des images colorées des animaux, et l'enseignante lui pose des questions

- Prenons l'énoncé : « *pourquoi tu as désordonné les billets Nour ?* »

Acte locutoire : il construit un acte locutoire si le « tu » est référé à « tu », et si le verbe « désordonner » signifie « mettre en désordre ».

Acte illocutoire : il s'agit de protester contre cet acte ; valeur illocutoire comportative.

Acte perlocutoire : c'est ordonner de réarranger les billets.

- L'énoncé : « *je suis triste* »

Acte locutoire : l'acte est locutoire si le « je » est renvoyé à « je », et si le verbe « être » est employé au sens de « affirmer un état ».

Acte illocutoire : c'est décrire une situation personnelle. Il s'agit de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est réagir aux expressions de l'enseignante.

- Prenons l'énoncé : « *c'est un papillon* »

Acte locutoire : il constitue un acte locutoire si le « ce » est renvoyé à un référent déterminé, et si le verbe « être » est employé au sens de « affirmer ».

Acte illocutoire : c'est affirmer quelque chose. Nous parlons de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est susciter l'intérêt de l'interlocuteur.

- L'énoncé « *oh, tomate, c'est* »

Acte locutoire : cet énoncé présente un problème, l'ordre de la phrase est inversé. Il constitue un locutoire si le « ce » renvoie à un référent impersonnel, et si le verbe « être » est employé pour dire « révéler ».

Acte illocutoire : il consiste à illustrer une image. c'est la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est susciter l'intérêt de l'interlocuteur.

- **Cas 3** :

Niveau d'autisme	Âge	Genre	Contexte
Niveau 3	10 ans	Un garçon	L'enseignante pose divers questions à l'enfant.

- Citons l'énoncé : « *j'ai froid* »

Acte locutoire : si le « je » veut dire « moi », et le verbe « avoir » est employé au sens de « s'enrhumer ».

Acte illocutoire : c'est décrire une situation. Nous parlons de la valeur illocutoire expositive.

Acte perlocutoire : c'est convaincre l'interlocuteur de le couvrir.

- L'énoncé : « *je t'aime* »

Acte locutoire : nous parlons de l'acte locutoire si le « je » veut dire « moi », et si le verbe « aimer » est employé au sens d'exprimer un sentiment.

Acte illocutoire : c'est déclarer une attitude. Il s'agit de la valeur illocutoire comportative.

Acte perlocutoire : c'est influencer les sentiments de l'interlocuteur.

Résultat de l'étude

Suite à l'analyse des données, nous sommes arrivés à dégager les points suivants :

- Les enfants souffrant du TSA présentent une compétence langagière considérable et tentent de produire des énoncés ayant une signification en suivant les règles grammaticales.

- Les autistes emploient des indices simples pour s'exprimer et réagir aux enseignantes.
- Par comparaison aux enseignantes, les enfants atteints d'autisme ont tendance de produire des phrases simples et courtes. Les énoncés des enseignantes sont plus développés et plus complexes.
- Le fait de produire des phrases dépende du niveau d'autisme chez l'enfant. L'autiste qui présente le niveau 3 du trouble tend à produire des énoncés plus complexes que l'autiste qui présente le niveau 2.
- Nous remarquons l'émergence de certaines lacunes liées au fonctionnement des pronoms personnels. L'inversion des pronoms personnels surtout le pronom « je ». Ils emploient « il » plus tôt que « je ».
- Les autistes ont tendance à perdre l'ordre des énoncés, nous avons détecté une certaine substitution de la place du verbe dans la phrase. Le C.O.D. est placé avant le verbe.

Au surplus, nous avons constaté à la lumière de l'analyse des valeurs illocutoire, qu'il y a une forte densité d'acte expositif par les autistes dans ce discours.

Nous pouvons dire que le postulat d'appliquer la théorie des actes de langage sur les autistes n'est pas inatteignable, mais il est confronté constamment aux certains déficits indéniables.

Finalement, la présente étude a examiné les traits et les caractéristiques du discours autistique en disséquant les actes de langage (locutoire, illocutoire, perlocutoire) chez les autistes.

Annexe

- **Le discours du premier cas (nous réfèrons à l'enseignante par "E" et à l'autiste par "A")**

E : Compte à 10.

[ʕed(ə)li l(ə)lʕaʃara].

A : Un.

[waħed].

E : Sur tes mains chéri, sur tes main.

[ʕa ʔidek ħabibi ʕa ʔidek].

A : Un, deux, trois, quatre, cinq, six, sept, huit, neuf, dix.

[waħed, tnen, tlate, arbʕa, xamse, s(ə)te, sabʕa, tmane, t(ə)sʕa, ʕaʃra].

E : Bravo, Naiem. Nous sommes allés où hier Naiem, la semaine dernière ?

[bravo naʕjm], [mbareħ wen reħna naʕjm, lʔesbuʕ lmaḏi].

A : À la salle.

[ʔaʂale].

E : Nous avons fait quoi ?

[ʃu ʔamalna b(ə)ʂale].

A : Un mrathon.

[sabaq].

E : Un marathon, et quoi aussi ?

[sebaq], [wʃu kaman].

A : Du basketball.

[kuret sale].

E : Et quoi aussi ?

[wʃu kaman].

A : Soulimane a gagné.

[sleman faz].

E : Oui, la course, course. Nous et qui, nous sommes allés avec qui ?

[e, lʒari, ʒari], [neħna w min, neħna w min reħna].

A : Ward et..

[ward wa].

E : Ward et qui ?

[ward w min].

A : Et Rabi.

[w rabiʕ].

E : Bravo Naiem. Alors, la semaine prochaine nous irons où؟

[bravo naʕim]. [ṫayeb w lʔesbuʕ ʒai wen bedna nruħ].

A : À

[ʕal].

E : À, à où ? Dis-moi toi.

[ʕal, ʕal win], [ʔeli enta ʔħkili].

A : La semaine prochaine il ira à.

[lʔesbuʕ ʒai b(ə)jruħ].

E : Il ira où, Naoumi ?

[b(ə)jruħ naʕumi lawen].

A : À la piscine.

[ʕalmasbaħ].

E : À la piscine bravo Naiem. Quand nous venons de la maison au matin, que ferons nous avec nos amis dans l'association, au début en entrant ?

[ʠalmasbaħ bravo naʠim, neħna waʔ(ə)t ellj meneʒi men(ə)lbet, ʃu m(ə)nsawi ṡ(ə)b(ə)ħ awal ʃi hɔn b(ə)lʒamʠiji neħna wr(ə)fʔatna awal ʃi waʔt nfut].

A : Nous nous rafraîchissons.

[m(ə)nṡaħṡeħ].

E : Nous nous rafraîchissons. Que ferons ici d'ailleurs ? La rencontre.

[m(ə)nṡaħṡeħ ʃu kaman m(ə)nsawi hɔn, leqaʔ].

A : Matinale.

[ṡabaħi].

E : Tu salues qui ?

[ʠa min b(ə)tsalem]

A : Sallomi.

[salumi].

E : Et qui aussi ? Compte- moi tes camarades et c'est tout.

[wmin kaman, ʠed(ə)li r(ə)fʔatak wxalaṡ].

A : Tasnim, (il applaudit)

[tasnim].

E : Bravo, Tasnim. Et quoi aussi Naiem ?

[bravo tasnim, wʃu kaman ja naʢim].

A : Parce qu'elle a voyagé à l'Arabie Saoudite. (Il bouge en avant et en arrière).

[laʔ(ə)nha safaret ʢasuʢudji].

E : Arrête- toi Naiem (elle fronce les sourcils).

[xalaʂ naʢim].

A : Madame Lina (il s'arrête en prenant sa main).

[ja anse lina].

E : Oui, oui (elle fronce les sourcils encore).

[naʢam, naʢam].

A : (Il prend des images devant lui et les donne à l'enseignante).

E : (Elle les prend et les met à côté).

A : (Il prend les mains et les met sur ses joues).

E : (Elle enlève ses mains).

A : (Il baisse la tête et la met entre ses mains).

E : Quoi ? Tu veux me dire quoi ? Pourquoi tu fais cela ?

Pourquoi tu fais cela ?

[ʃu, ʃu bedak tʔ(ə)li], [leʃ qam tsawi hek, leʃ qam tsawi hek].

A : Il est interdit.

[mamnuq].

E : Il est interdit ? Qu'est-ce qui est interdit ?

[mamnuq e, ʃu h(ə)we lmamnuq].

A : De faire des mouvements par la bouche.

[neqmel ħarakat b(ə)temɔ].

E : Et qu'est-ce tu veux me dire ?

[e ʃu bedak tʔ(ə)li].

A : Désolé.

[ana asef].

-Le discours du deuxième cas

E : Où est le lion ?

[ajna lasad].

A : Dedans.

[daxel].

E : La cage, qui est ça ?

[alqafaṡ, man haða].

A : Un garçon dedans.

[walad daxilek].

E : Un garçon dedans, ces images, pourquoi tu les as désordonné, pourquoi tu as désordonné toutes les images Nour, je vais être contrariée ?

[walad daxel, hadɔl beṭaqat leʃ fardtihɔn, leʃ farde kel biṭaqat ja nur hlaʔ b(ə)zqal menek ana].

A : Nour punition.

[nur qeqab].

E : Non, pas de punition pour nour parce qu'elle est brave, elle obéit aux ordres et ne me gêne pas, Nour est gentille. Tu es allé où ?

[laʔ, nur mafi qeqab laʔnɔ nur ṡajra ʃaṭura wb(ə)tsmaq lkalam wma b(ə)tqazbni, nur ħababe, wen reħti ja nur].

A : À la salle.

[qaṡale].

E : Non, tu es allé chez mademoiselle ?

[laʔ, wen reħti, ʕalanse].

A : À la piscine.

[masbaħ].

E 4 : Chez mademoiselle ?

[ʕalanse].

A : Un papillon, un papillon.

[faraʃa, faraʃa].

E : Laisse- moi voir, quelles sont les couleurs de la papillonne ?

[arʒini, ma lawnuha, ma lawn lfaraʃa].

A : Bleu, orange, vert (en claquant les mains).

[azraq, bɔrtuqali, axḏar].

E : Pourquoi tu claque Nour ?

[lemaða turafrifin ja nur].

A : Comme le papillon.

[ʕalfaraʃa].

E : La papillonne vole, n'est-ce pas Nour ? Nour pourquoi ti as désordonné les billets ?

[taṯir lfaraʃa, ha ja nur, nur leʃ heke farde lbeṯaqat ja nur].

A : oh, tomate, c'est.

[o, ṫamaṫem, haða].

E : On joue avec la tomate comme ça Nour ?

[hek m(ə)nelʠab b(ə)amaṯem ja nur].

A : Non.

[la].

E : On jette le tomate comme ça Nour ?

[hek m(ə)nermi ṫamaṫem ja nur].

A : Non.

[laʔ].

E : Nour, je suis ? (l'enseignante fronce les sourcils).

[nur ana].

A : Je suis triste (elle joue avec les cartoons).

-Le discours du troisième cas

E : Je suis ? (en fronçant les sourcils).

[ana].

A : Je suis triste.

[ħazin].

E : Je suis ? (en embrassant elle-même).

[ana].

A : J'ai froid.

[bardan].

E : Je suis ? (en souriant à l'enfant).

[ana].

A : Je t'aime.

[ana ħ(ə)bek].

E : Oh, chéri.

[ja ħabibi].

– ALPHABET PHONÉTIQUE ARABE

Lettre	Son
ا	[a]
ب	[b]
ت	[t]
ث	[t̪]
ج	[ʒ]
ح	[ħ]
خ	[x]
د	[d]
ذ	[ð]
ر	[r]
ز	[z]
س	[s]
ش	[ʃ]
ص	[ṡ]
ض	[d̪]
ط	[ṫ]
ظ	[z̪]
ع	[ʕ]
غ	[R]
ف	[f]
ق	[q]
ك	[k]
ل	[l]
م	[m]
ن	[n]
ه	[h]
و	[w] [u]
ي	[i] [j]
إ أ ء ؤ ئ	[ɔ]

Bibliographie

- AUSTIN, J.L, 1970- **Quand dire c'est faire**, Éditions du Seuil, (traduit par Gilles Lane, Oxford University Press, 1962), Paris, 203p.
- DUCROT, Oswald et TODOROV, Tzvetan, 1972- **Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**, Éditions du Seuil, Paris, 470p.
- IDLBI, N, 2021- **L'argumentation dans le discours des formateurs en développement personnel** , Mémoire de master, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université de Damas, 195p.
- KANNER, L. (1943), « **Autistic disturbances of affective contact** », the nervous child, vol 2, p. 217-250

Webographie

- American Psychiatric Association, 2015- **Manuel diagnostique et statique des troubles mentaux**, [en ligne], Elsevier Masson 5ème édition, États-Unis, (traduit en français par American Psychiatric Association), 1216p.
- HIREP. J, 2013- **Approche de la pragmatique du langage chez la personne avec autisme : entraînement des fonctions de communication afin de (r)établir le lien entre théorie de l'esprit et habiletés sociales**, MÉMOIRE En vue de l'obtention du Certificat de Capacité d'Orthophonie, Université de Lorraine, 106p.

- MATERGIA, L. (2014), **Troubles du spectre autistique et methode distinctive : intérêt de la multimodalité dans l'apprentissage de l'écrit d'un enfant autiste scolarisé au cours préparatoire**, MÉMOIRE de recherche présenté en vue de l'obtention du certificat de capacité d'orthophoniste, Université de Lorraine, faculté de médecine, 98p.

- GARCIN, N., et MOXNESS, K. (2013), **L'impact de la nouvelle définition des Troubles du Spectre de l'autisme du DSM-5,** vol. 5, n° 1, 73p.

المكان في شعر نزار قباني
بيروت أنموذجاً

طالبة الدراسات العليا: هبة فاخوري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث
بإشراف: أ.د. جودت إبراهيم

ملخص

يعبّر المكان في العمل الأدبيّ عن وعي الأديب الفكري والنفسي، ويرتبط بذاكرته وتجربته الحياتيّة، فيكون بمنزلة علاقة تبادل وجدانيّ وفكريّ، لأنّه أقرب عناصر العمل الفنّيّ إلى الأديب؛ فهو يمثّل البعد الواقعيّ والماديّ للحدث الشعريّ، ويساعد على فهم مغزى النصّ الشعريّ.

وانطلاقاً ممّا سبق وجدنا أنّ للمكان حضوره المكثّف في شعر "نزار قبّاني"، لأنّه يرتبط بذاته؛ إذ يتحدّث المكان بلغة الذات، ويذهب هذا البحث إلى دراسة المكان في شعره من خلال تجربته الإنسانيّة التي عكست الرؤية الشعرية للذات المبدعة متّخذاً من مدينة بيروت أنموذجاً.

The Place in the Poetry of Nizar Qabbani Beirut as an Example

Summary

In the literary work , the place expresses the rational and psychological awareness of the author. It is also connected with his memory and his life experiences. So it is as an exchanging rational and emotional relation. It is the closest artistic element to the author as it represents material and realistic dimension of the poetric action. It also helps to understand the essence of the poetric passage.

So as we have mentioned above, we find that the place has a concentrated presence in the literary works of the Arab poets, especially the poetry of Nizar Qabbani because it is connected with his inner self as we see the place uses the same language of his inner self. So, in this research, we study the place in Nizar Qabbani 's poetry through his humanitarian experience which has reflected the poetric vision of the creative inner self using Beirut city as an example.

المقدمة:

أسباب اختيار البحث:

ارتبط "نزار قباني" بالمدن التي زارها، وعاش فيها فترةً معيّنة من حياته، فشكّلت جزءاً من ذاكرته، وارتبطت بأحداثٍ مرّ بها، فكان لها خصوصيّتها، وخلّدها شعراً، ولا سيما مدينة بيروت التي ميّزها عن غيرها من المدن التي عاش فيها، فقد احتضنته وشكلت مصدر أمانه، وكانت بمنزلة الحبيبة التي أوحت له بحراً من القصائد، كما أنها تشبهه؛ فهي مدينة التناقضات ،لأنه على الرغم مما مرّت به من أحداثٍ مؤلمة رفضت الموت والاستسلام، وتمسكت بالحياة والأمل، وهذا ما يذكرنا بحياة "نزار قباني المليئة بالأحداث الأليمة مثل موت زوجته وابنه ونفيه.

من هنا جاء هذا البحثُ محاولة جادة دعت إلى دراسة المكان في شعره، وقد تمثّل المكان في بحثنا بمدينة بيروت.

أهداف البحث:

وقع اختيارنا على هذا البحث نظراً لأهمية المكان في شعر نزار قباني؛ فهو أحد أبرز مكوّنات شعريّته، وهو النافذة التي يطلّ منها المتلقي على أشعاره فيفهمها، ويفهم الخلفية التي تقع فيها أحداث قصائده.

وقد اهتم "نزار" بالمكان فشخصه وجعل منه امرأةً وحبيبة ووطن، وهذا ما نلاحظه من عنونة العديد من قصائده بأسماء أمكنة عاش فيها، وتأتي أهمية هذا البحث انطلاقاً من كونه محاولة، نبحث من خلالها في طرق تشكل صورة المكان في شعر نزار قباني الذي عُدّ شاعر الشارع العربي لقربه من المُتلقّي، وتصويره حياته اليومية بكل تفاصيلها، وجزئياتها.

منهج البحث:

سنعتمد في هذه الدراسة على معطيات المنهج الوصفي التحليلي؛ بوصفه نمطاً من أنماط التفكير العلمي، وطريقةً من طرق العمل التي يعتمدها الباحث في تنظيم الدراسة والتحليل لبلوغ الأهداف المطلوبة من البحث فهو (منهج نقديّ يُتبنى كقدرة لشرح أغلب العلوم الخاصّة به، وهي التي تعتمد على قواعد أو أنسقة محددة ترتكز عليها في التحليل،

ويعطي أولويّة للقواعد والأنسقة التي يحلل في ضوئها، شارحاً لها أوّلاً، ثم يحدّد في باب تالٍ الظاهرة حجماً وأبعاداً، وينتهي بمقارنة بين القاعدة والتنسيق).[1]

مستفيدين من القراءة التأويلية في البحث في طرق تشكل صورة المكان في شعر نزار قباني.

مصطلحات البحث:

المكان لغة كما ورد في معجم العين : "**موضع الكينونة**"[2]، وقد ذُكر عند ابن منظور بأنه **(الموضع والجمع أمكنة)**[3]، كما أورده الفيروز أبادي في معجمه بأنه "**الموضع، والجمع منه أمكنة وأماكن**"[4].

وأما تعريف المكان اصطلاحاً: فقد عدّ أفلاطون "المكان حاوياً وقابلاً لكل حدث وصيرورة"[5]، بينما مثل عند أرسطو "**السطح الباطن المماس للجسم المحوي**"[6]، أما عند الرازي فهو على نوعين: "**أولهما الكلي أو المطلق، وهو الخلاء الذي لا يوجد فيه متمكن، وثانيهما هو الجزئي الذي لا يمكن تصوّره بدون متمكن، لكنه لا ينتهي بنهاية الجسم، بل هو الامتداد في الجهات**"[7].

والوطن لغة: "**المنزلُ تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله**"[8].

والوطن اصطلاحا: "**هو منزل الإقامة، والمكان الأصلي الذيُ ولد فيه الإنسان، والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومي**"[9].

---

[1] إبراهيم، جودت، منهجية البحث والتحقيق، منشورات جامعة البعث، 2007-2008، ص: 306-364.

[2] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، القاهرة، ج5، ص: 387

[3] منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد13، دار صادر، بيروت،200،ص: 414

[4] الفيروز أبادي، جمال الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1998، ص: 1235

[5] انظر أفلاطون، طيماوس، تر: فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق،1968 ص:263.

[6] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، مج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص413، نقلاً عن رسالة الحدود، ص94.

[7] المرجع السابق، ص: 413.

[8] منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد15، دار صادر، بيروت، 2000، مادة وطن.

[9] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ص: 580

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى ضرورة التمييز بين مصطلح المكان والمصطلحات المتداخلة معه كالفضاء والحيّز، فمن النقاد والباحثين من اعتمد مصطلح المكان مثل (سيزا قاسم، عبدالله إبراهيم، ويمنى العيد، وغيرهم...)، بينما اختار بعضهم الآخر مصطلح الفضاء مثل حميد لحمداني، سعيد يقطين، وسمر روحي الفيصل وغيرهم...).

ويعود الفرق بين المصطلحين إلى أن الفضاء أعم من المكان، (فمصطلح المكان يدل على المكان الواحد المنفرد في العمل السردي، بينما يشمل مصطلح الفضاء مجموع الأمكنة التي تظهر في العمل السردي كله، ويكون المكان داخله جزءاً منه)[1].

وقد طابق "حسن بحراوي" بين مفهومي الفضاء والمكان في قوله "**إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز... إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، ولذلك فهو يتشكل بوصفه موضوعاً للفكر الذي يخلقه الروائي بأجزائه جميعها، ويحمّله طابعاً مطابقاً.... لمبدأ المكان نفسه**"[2].

أما "عبد الملك مرتاض "فقد استعمل مصطلح (الحيّز) مبيّناً أنّ مصطلح الفضاء من وجهة نظره "**قاصراً بالقياس إلى الحيّز؛ لأنه يستلزم معنى الخواء والفراغ، أما الحيّز فينصرف استعماله إلى النتوء، والوزن، والثقل، والحجم، والشكل على أن المكان نَقِفُه في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده**"[3].

ومن هنا نجد أنّ استعمال مصطلح المكان في بحثنا هذا هو الأنسب بوصفه المصطلح الأكثر استعمالاً بين النقّاد والباحثين "**لاتساقه مع لغة النقد العربي**"[4] على حد تعبير سيزا سيزا القاسم.

---

[1] يُنظر لحمداني، حميد، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1999، ص63.

[2] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1990، ص27.

[33] مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص121.

[4] قاسم، سيزا، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د0.ط، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة، 2004، ص106.

الدراسات السابقة

أفاد بحثنا هذا من عدد من الدراسات النقدية الكثيرة التي تناولت الشاعر نزار قباني بالنقد والتحليل، وكان أهمها مرتباً زمنيّاً من الأقدم إلى الأحدث :

دراسة بعنوان "**نزار قباني شاعراً وإنساناً**[1]" **محيي الدين صبحي 1964**، وفيه يدرس صبحي نزار من الناحية الإنسانية، وقد اقتصرت دراسته على شعر الشاعر قبل نكسة حزيران.

دراسة بعنوان "**شعراء سورية**[2] " **لأحمد الجندي1965**، آثار فيها الجندي كثيراً من الآراء حول شعر نزار، ولغته، وتجديده في اللغة والشعر.

ودراسة بعنوان "**الأدب العربي المعاصر في سورية**[3]" **سامي الكيالي 1968**، درس فيه الكيالي نزار دراسة تصدر عن علم، ومعرفة، واعتبره ظاهرة فنّية متميّزة.

ودراسة بعنوان " **فنون الأدب المعاصر في سورية**" **عمر الدقاق**[4] **1971**، يعرض فيها الدقاق ترجمة لنزار قباني، ويتحدّث عن تميّزه، وآراء النّقاد حوله.

ودراسة بعنوان " **نزار قباني شاعر المرأة**[5]" **إيليّا الحاوي 1973** ، وفيها يرى الحاوي أنّ الوصفيّة في شعر نزار تغلب الذّهنيّة، وهي وصفيّة تدل من وجهة نظر الحاوي على قصور الشاعر.

ودراسة بعنوان "**الشعر بين الرؤيا والتشكيل**[6]" **عبد العزيز المقالح 1981**، يرصد المقالح فيه الشعر العربي الحديث ، وتجارب الشعراء المجددين في الوطن العربي ،ومن بينهم الشاعر نزار قباني ، فيرصد بعين الناقد أعماله وتجربته في التجديد ، ويضع يده على مفاتيح التطور والإبداع لديه ، ويرى بعين الناقد المنصف ماله وما عليه.

ودراسة بعنوان "**الكون الشعري عند نزار قباني)**[7]"**محيي الدين صبحي 1982**، وفيها يقدم الكاتب فرضية الكون الشعري بديلاً من الموضوعات والمحاور ، ليكون هذا الكون

[1] صبحي، محي الدين، نزار قباني شاعراً وإنساناً، دار الآداب، بيروت، ط1، 1964

[2] الجندي، أحمد، شعراء سورية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1965

[3] الكيالي، سامي، الأدب العربي المعاصر في سورية، دار المعارف، مصر، ط2، 1968

[4] الدقاق، عمر، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق، سورية، ط1، 1971

[5] الحاوي، إيليا،نزار قباني شاعر المرأة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج1،ط1، 1973

[6] المقالح ، عبد العزيز ، الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1981

[7] صبحي ، محي الدين ، الكون الشعري عند نزار قباني ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1982

الشعري خلاصة ما يقدمه الشاعر من تصورات ومعاناة في علاقته مع العالم وذاته وكائناته ، ،هو ليس محكوماً لدى نزار بحدود العلاقة بين الذكر والأنثى ، ويميز فيه بين ما هو نزار قباني ، وبين ما هو غير نزار أي ما ليس نزار نجده في كل ما هو وصف خارجي مقصود لذاته على حد تعبير المؤلف في كتابه .

ودراسة بعنوان "**النرجسية في أدب نزار قباني**[1]" **خريستو نجم 1983**، وفيها يفسر نجم ما قاله نزار قباني من شعر تفسيراً ينبعث من نرجسيّته، التي تولّد نوازع نفسية كثيرة ومعقّدة.

ودراسة بعنوان "**الضوء واللعبة** [2]" **شاكر النابلسي 1986**سلط فيها الضوء على لغة نزار قباني، وذهب فيها إلى أنّ لغته هي لغة الجسد والشهوة فقط، معتمداً فيها على مجموعات شعرية متعددة، وجميعها من أعماله الغزلية دون ذكر شعره السياسي.

ودراسة بعنوان "**ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء**[3]" **رجاء النقاش 1992**، وهذا الكتاب يتحدث عن نزار قباني فيما يتعلق بقصائده السياسية، وعن علاقته بزعماء عصره.

ودراسة بعنوان "**نزار شاعراً وسياسياً** [4]"**عبد الرحمن الوصيفي1995**، وفيه يدرس الوصيفي شعر نزار قباني السياسي، ومواكبته للصراع العربي الإسرائيلي، وتطلّعه للحرية واستعادة الكرامة.

ودراسة بعنوان "**الأدب العربي المعاصر بعد الاستقلال** [5]"**سيف الدين قنطار 1997** ، ويشمل الكتاب دراسة عن شعر نزار قباني، وبخاصة الظواهر اللغوية الجديدة.

دراسة أخرى بعنوان **أساليب الشعرية المعاصرة**[6] **صلاح فضل 1998**، يرى فيها الدكتور الدكتور صلاح أنّ لغة نزار هي لغة حسيّة في المقام الأول، وأيضاً اقتصرت هذه الدراسة على بعض مجموعات شعر الحب.

[1] نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، 1983
[2] النابلسي، شاكر، الضوء واللعبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986
[3] النقاش، رجاء، ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992
[4] الوصيفي، عبد الرحمن، نزار شاعراً وسياسيّاً، دار الحريري للطباعة، القاهرة، ط1، 1995
[5] قنطار، سيف الدين، الأدب العربي المعاصر بعد الاستقلال، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1997
[6] فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، مصر، ط2، 1998

ودراسة بعنوان "**نزار قباني شاعر لكل الأجيال** [1]" **مجموعة من المؤلفين 1998**، وهو كتاب يضم عدداً من الشهادات، والدراسات عن نزار قباني، والصادرة عن عدد من الشعراء والباحثين والمثقفين، تكريماً له.

ودراسة أخرى بعنوان "**الحس الثوري في شعر نزار قباني**[2]" **محمد إسماعيل اللباني 1999**، ويتحدث عن البدايات السياسية والثورية في شعر نزار قباني الغزلي.

دراسة بعنوان "**نزار قباني رحلة الشعر والحياة**[3]" **ديب علي حسن**، سلطت هذه الدراسة الضوء على حياة الشاعر نزار قباني، ونشأته، وعلاقته بعصره، وعلاقة النقاد والأدباء بأدبه..

ودراسة بعنوان "**نزار قباني والشعر السياسي**[4]" **أحمد تاج الدين 2001**، ويتحدث فيه تاج الدين عن الفكر السياسي عند نزار قباني، والجذور الأولى لشعر هذا الشاعر.

وهناك دراسة بعنوان "**شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني**[5]" **أحمد حيدوش**2001، حاول فيها فهم موقفه من المرأة والقصيدة، وقد تناول حيدوش فيها تجربة نزار قباني في ضوء النقد والتحليل، من أجل بيان أهمية نصه الإبداعي ، انطلاقاً من طريقة تناوله للمرأة بوصفها حقلاً واسعاً لتوجيه القيم الإنسانية، ومعطيات الحياة عموماً، وقد اعتمد كل الاعتماد على معطيات المنهج النفسي دون الاهتمام بغيره من المناهج، الأمر الذي جعل الأحكام فيها تنطلق من منظور واحد.

ودراسة بعنوان "**نزار قباني شاعر الحب والوطن**[6] "**مازن النقيب 2002**، تناول فيها النقيب العديد من قصائد نزار، ويكشف بعد التحليل والمراجعة عن تحولات نزار قباني، وعمق ارتباطه بالأرض والإنسان.

---

[1] مجموعة من المؤلفين، نزار قباني شاعر لكل الأجيال، إشراف سعاد الصباح، إعداد وتحرير محمد يوسف نجم، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1998

[2] اللباني، محمد إسماعيل ، الحس الثوري في شعر نزار قباني، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1999

[3] حسن، ديب علي، نزار قباني رحلة الشعر والحياة، بيروت، المنارة، ط1، 2000

[4] تاج الدين، أحمد، نزار قباني والشعر السياسي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2001

[5] حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

[6] النقيب، مازن، نزار قباني ساعر الحب والوطن، دار حازم للطباعة والنشر، ط1، 2002

دراسة بعنوان "**دفاعاً عن الشاعر نزار قباني _ محاولة قراءة جديدة في شعره–.**[1]" **لمحمد علاء الدين عبد المولى 2002،** وقد قدم المولى في هذه الدراسة أفكاراً نقدية جديدة تجابه بصورة أساسية بعض الآراء النقدية والإعلامية الشائعة حول تجربة الشاعر نزار قباني ، في محاولة لإعادة النظر في هذه الآراء على ضوء الحوار النقدي الحر مع شعر قباني نفسه ، وذلك بهدف إزالة الالتباسات الواقعة في قاع القراءات النقدية المتسرعة والمرتجلة لنتاج الشاعر والسعي لاكتشاف جوهر الجمال الكامن في عمق تجربته ، والدفاع عنه باعتباره قيمة إنسانية مطلقة.

ودراسة بعنوان "**نزار قباني ثورة وحرية**[2]" **جوزيف الخوري طوق2005،** وهي دراسة في عشرة أجزاء، تضم مجموعة من الشهادات ، بأقلام عدد من الباحثين والمثقفين عن نزار قباني.

والدراسة الثانية بعنوان "**الشعر السياسي عند نزار قباني ومستوياته الفنية**[3]" **لعبد الهادي صافي 2008،** والذي حاول فيها إثبات أن نزاراً ، منذ البداية ، لم يكن مبتعداً عن قضايا أمته ووطنه ، وأن المرأة كانت قضية سياسية مهمة في شعره ، ودواوينه الغزلية الأولى قبل النكسة كانت تمهيداً لشعره الملتزم ، الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث أمته ووطنه ، ومجتمعه الذي يعيش فيه ، مقارباً في دراسته هذه المنهج البنيوي الذي يحتفل بالنص من الداخل .

ودراسة بعنوان " **قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً – نزار قباني نموذجاً تطبيقياً–**[4]" **هايل الطالب 2008،** وهي دراسة لسانية للغة نزار قباني الشعرية.

ودراسة بعنوان " **نزار قباني شاعر الوطن والحب والسياسة**[5]" **ياسين داوودي2009،** يتحدث فيها الكاتب عن حياة نزار الإنسان، ويظهره إنساناً وشاعراً وصاحب قضيّة.

---

[1] المولى ، محمد علاء الدين ، دفاعاً عن الشاعر نزار قباني – محاولة قراءة جديدة في شعره –د.د ، ط1 ، 2002

[2] طوق، جوزيف الخوري، نزار قباني ثورة وحرية، دار نوبلس، بيروت، لبنان، ط2، 2005

[3] صافي ، عبد الهادي عبد العليم ، الشعر السياسي عند نزار قباني ومستوياته الفنية ، دار الإرشاد للنشر، حمص ، د.ط ، 2008

[4] الطالب، هايل ، قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً، نزار قباني نموذجاً تطبيقياً، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008

[5] داوودي، ياسين، نزار قباني شاعر الحب والوطن والسياسة، الدار المركزية للطباعة والنشر، دمشقن ط1، 2009

ودراسة أخرى بعنوان "**أيام مع نزار قباني**[1]" **غريد الشيخ 2012**، وفيها ترسم الكاتبة للقارئ العادي ملامح شخصية نزار قباني وشعره، وفق طابع قصصي بسيط ، مُفعم بالمودة والحس الواقعي الذكي.

ودراسة أخرى بعنوان "**التّناص والتّلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر**[2]" **جودت إبراهيم2015**، وقد قدم هذا الكتاب تغطية شاملة لمفهوم التناص وتطبيقاته في الشعر العربي المعاصر على مدى الساحة الأدبية العربية خلال قرن ونيّف من الزمن، ومن الشعراء الذين دُرِسَت أشعارهم بوصفها نماذج في هذا الكتاب كان الشاعر نزار قباني.

وسنحاول في هذا البحث أن ندرس المكان في شعر نزار قباني متخذين من مدينة بيروت أنموذجاً تطبيقيّاً لهذه الدراسة.

أهميّة المكان في الشعر:

للمكان أهمية كبيرة في حياة الشعوب عبر الزمن، فله دور مهم في علاقة الكائن البشري بمحيطه، وتفاعله مع هذا المحيط،(لأن المكان يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني، ويعني الارتباط البشري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش، وللوجود، ولفهم الحقائق الصغيرة، ولبناء الروح، وللتراكيب المعقدة والخفية، ولصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة)[3].

إذاً فالمكان يمثّل عاملاً مهماً في بناء شخصية الإنسان ،لتكون هذه العلاقة الوثيقة بين الطرفين نقطة ارتكاز أي عمل إبداعي، سواء في مجال العلم أو الأدب، أو غيرهما؛ **(قل لي أين تحيا أقول لك من أنت)**[4].

وتتبع أهمية المكان في الأدب من كونه مصدراً للعلوم الإنسانية المتنوعة، وانضمامه إلى التراث الثقافي والروحي للأمم على اختلافها وتنوعها، وقدرته على الإيهام بالواقع ، إضافة إلى اتسامه بالخلود والديمومة، على عكس المكان الجغرافي الذي يزول ويتلاشى مع الزمن، (ولقد كان المكان في نظر عصر النهضة هو المقولة الأساسية في النظرة

[1] الشيخ، غريد، أيام مع نزار قباني، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2012

[2] إبراهيم، جودت، التناص والتلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر، حمص، ط1، 2015

[3] النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص: 395

[4] لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم دراز، ، ضمن كتاب جماليات المكان لمجموعة من الباحثين، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2،1988، ص:63

البصرية للعالم، فالتصوير في الثقافات الواقعية التوسعية التي تتخذ من العالم موقفاً إيجابياً، يضع الأشكال ذي بدء في سياق مكاني مترابط، ثم يجعلها بالتدريج مادة خلفية للمكان، وأخيراً تذيبها تماماً في هذا المكان).[1]

والمكان في الأدب ليس وجوداً شكلياً وحسب، بل هو عنصر تشكيلي إذ يمكن له أن يتحول إلى رمز، أو قناع يلجأ إليه الأديب عند شعوره بالعجز عن تصوير واقعه، أو البوح بحقيقة ما، ليكون هذا المكان المعادل الموضوعي للواقع الحقيقي الذي عجز الأديب عن تصويره بأبعاده، ودلالاته بشكل مباشر.

ولقد توصل الأديب إلى إدراك المكان، وفهمه، عبر سلاحه الفعال الذي هو اللغة ، لينقل هذا المكان، باستخدام لغته، من المكان الجغرافي المحسوس إلى المكان العاطفي المفعم بالمشاعر، والقادر على أن يولّد فينا كتلة من الأحاسيس المتناقضة ، ليصبح المكان في الشعر(المكان التخيّلي الذي ينفرد بمقوماته الخاصة، وبأبعاده المتميّزة، فهو فضاء تؤسسه اللغة).[2]

وللمكان تأثير مباشر في نفس الأديب، وخاصة الشاعر الذي تمكن من خلاله التعبير عن الكثير من المشاعر والقضايا.

فقد أثرت عوامل عديدة في تشكيل رؤية الشاعر للمكان ، إذ لعبت الظروف النفسية ، والواقع المعيش، الدور الأكبر في تشكيل صورة المكان في شعر الشاعر الحديث، كما ارتبط المكان عنده بالوطن، وبالقضايا الوطنية، والسياسية ، نتيجة لارتباطه بالبعد الاجتماعي المتعلق بدوره بالبعد السياسي، ومن هنا كانت علاقة المكان مع قضايا الشعوب علاقة قوية، ومتماسكة، (إذ لا يمكن تصور الأحوال الاجتماعية ، والاقتصادية، والأجواء الثقافية، بمعزل عن ظروف الحياة السياسية، لأنها تتفاعل جميعاً

[1] هاوزر، أرنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، ج1، 1981، ص:435

[2] سويرتي، محمد، النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، إفريقيا الشرق، ج2، ط1، 1991، ص: 83

ضمن بوتقة الحياة العامة، التي تؤلف مع بعضها نسيجاً واحداً، فتؤثر كل واحدة منها في الأخرى، وتنعكس عليها).[1]

وفي العصر الحديث استطاع الشاعر توظيف النواحي الجمالية للمكان في تجسيد مواقفه الفكرية والحياتية،(ولكل مكان بعده النفسي، والمكان الذي لا يُثير مقداراً ما من المشاعر تعاطفاً أو تنافراً، قلّما يستحوذ على اهتمام الفنان)[2]، لذلك اهتم الشاعر باختيار المكان، فهو يمثل مشاعره ومواقفه.

وقد ارتبط الوطن بالأدب ارتباطاً وثيقاً على اعتبار أنّ الفن انعكاس لحياة الإنسان وسلوكه ، (فالأدب أو الفن ليس انفعالاً جارفاً لا علاقة للإرادة به ، ولكنه انفعال منظم يتم وفقاً لإرادة صاحبه ويأتلف مع تفكيره ،فالقصيدة الفنية خلق جديد يبدعه الشاعر نتيجة عملية شعورية ، يشارك العقل في إخراجها إلى النور ، والانفعال يختلط بالذهن في العمل الأدبي ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر سواء في الإنسان نفسه أو في الأثر الفني ، فهما متداخلان يؤثر كل منهما في الآخر)[3]، ومن هنا نشأ الاهتمام بالمكان الفني (نتيجة لظهور بعض الأفكار والتصورات، التي تنظر إلى العمل الفني على أنه مكان تُحدّد أبعاده تحديداً معيناً)[4].

وتبعاً لذلك لعب المكان دوراً مهماً في التشكيل الجمالي في الشعر العربي بشكل عام ، والمعاصر بشكل خاص، فقد أولى الشاعر المعاصر المكان اهتماماً خاصاً، وتعددت المدن والعواصم العربية في قصائده ، ونزار قباني واحد من أهم الشعراء العرب المعاصرين الذين كثرت الأماكن في أشعارهم، فقد صرّح أنّ شعره منذ الأربعينيات كان عبارة عن رائحة المكان ، فهو الذي يملي على الشاعر صوره ومشاعره، ويعطيه مادته الشعرية، مؤكداً أنّه لا مهرب من المكان)[5]، لذلك قدّم المكان على الإنسان، كما قدمه

[1] مجيد، محمد حسن علي، فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1988، ص:247

[2] صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1997، ص: 55-56

[3] دقاق ، عمر ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، مكتبة الشرق ، حلب ، ط2 ، 1963 ، ص: 10

[4] لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ص: 88

[5] حيدوش،أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة، قراءة في شعر نزار قباني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2001،ص:128

على الزمان ، فهو في سيرته الذاتية (لم يُعنَ بالإنسان قدر عنايته بالمكان)[1]، وقد استطاع أن يخرج بهذا المكان من بعده الجغرافي ، ويمنحه أبعاداً نفسية، وروحية، ووطنية، لدرجة أنه استطاع من خلاله أن يعبر عن مواقفه السياسية، ومبادئه الوطنية، (فهذا الحس العميق بالمكان لا يتأتّى إلا إذا كان هو وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط البدئي المشيمي برحم الأرض)[2]، فقد كان كل مكان أو عاصمة عربية زارها نزار قباني تشكل ، في ناحية ما منها، وطناً له، وتعبر عن همومه وشجونه، يقول:

"كل مدينة عربية هي أمي..

كل هذه المدن أنزلتني من رحمها

وأرضعتني من ثديها

لذلك لا أدخل مدينة عربية

إلا وتناديني

يا ولدي...

لا أطرق باب مدينة عربية

إلا وأجد سرير طفولتي بانتظاري"[3]

فقد سكن الوطن قلب نزار قباني، وتغلغل عشق القومية العربية في أعماقه، فعلى الرغم من أنّ نزار قباني عُرف بشاعر المرأة، وارتبط شعره بالحب والغزل، إلا إنّه كان بحقّ شاعر الوطن، يتناول همومه، ويحمل لواء قضاياه الوطنية، وهذا الشعر تأثّر إلى حدّ كبير بالأحداث الوطنية الكُبرى، فتميّز شعره الوطني بصدق العاطفة في التعبير عن مشكلات أمّته، "واهتمّ باللفظة من حيث قدرتها على التعبير الصادق، والمعنى المباشر الذي يصور واقع الحال"[4]، ولم يهتم بلفظ جزل، أو معنى غامض يحقق ابتكاراً، أو متعة. وقد لعب المكان دوراً كبيراً في تكوين لغة نزار قباني الشعريّة، إذ ظهر الموروث الأندلسي في شعره في إسبانيا لاسيما في ديوانه (الرسم بالكلمات)، ونلاحظ أنه يمكن تقسيم شعره حسب الأمكنة التي كتب قصائده فيها:

[1] النابلسي، شاكر، الضوء واللعبة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986،ص: 97
[2] عثمان، اعتدال، إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، د.ط ، 1988،ص:6
[3] قباني، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، ص: 22
[4] مجيد، محمد حسن علي' فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي، ص: 273

فقد كتب في لندن أجمل دواوينه (ديوان قصائد)، و أبدع في مدريد (ديوان الرسم بالكلمات)، بينما اندرجت قصائد الصين في المرحلة الصفراء، وقصائد بريطانيا ضمن المرحلة الرمادية ، وقد كتب في دمشق (قالت لي السمراء، وأنت لي، وحبيبتي)، بينما كتب في بيروت (قصائد متوحشة، وكتاب الحب، وقاموس العاشقين، وقصيدة بلقيس)[1].

وقد ارتبط المكان عنده ارتباطاً وثيقاً بالزمن وعناصر العمل الشعري الأخرى، فالشخصيّات مثلاً التي تتأثر بمكانٍ ما، لا تتأثّر بالمكان "إلا من خلال فعل الزمن في ذلك المكان"[2]، كما إن المكان مهما كانت مقصوراته مغلقة فإنها تحتوي على الزمن المكثّف، وتلك هي وظيفة المكان[3].

أي لا يمكن فصل المكان عن الزمان لأنهما يرتبطان بعلاقة قويّة ومتداخلة، وهذا ما وجدناه في قصائد نزار قباني التي كتبها في بيروت التي كان لها نصيب مميز في شعره، فقد خصّ بيروت بديوان كامل يحمل عنوان "إلى بيروت الأنثى مع الاعتذار"، ويتضمن القصائد الآتية:

- ست الدنيا يا بيروت.
- سبع رسائل ضائعة في بيروت.
- بيروت محظيتكم...بيروت حبيبتي.
- إلى بيروت الأنثى... مع الاعتذار.
- بيروت تحترق...وأحبك.

إذ شكّلت بيروت هاجساً رافق مسيرته الشعريّة، فمثّلت له البيت، والأمان، والإلهام الشعري....، فكانت بالنسبة إليه المدينة التي لا تتكرر في تاريخ الشعر، (ولا يُعدّ الشاعر شاعراً- من وجهة نظره- إلّا إذا تخرج منها)[4].

---

[1] انظر حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة –قراءة في شعر نزار قباني-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص142-147.

[2] النعيمي، أحمد حمد: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص78.

[3] يُنظر باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا،ط2، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص39..

[4] حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة في شعر نزار قباني، قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص147- 148.

فقد حمل المكان ،متمثلاً بـ (بيروت) ،في قصائده بعداً إيديولوجيّاً، إذ عبّر من خلاله عن شخصيّته وأفكاره وقناعاته، وعن الخطاب الذي أراد أن يوجهه إلى المتلقي، فمثلت له بيروت الحرية، وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذه المدينة أنموذجاً لدراسة المكان في شعر "نزار قباني".

بيروت في شعر نزار قباني

أحب نزار قباني بيروت من أعماقه ، فكانت مختلفة في كل صفاتها، وعطائها، وفيما منحته لشاعرنا من حب وغرام، إذ عدها حبيبته، فعشقها بجنون، وقد كانت له رؤيا خاصة تجاه لبنان بشكل عام، فهو "موطنه المختار بعد أن نفر من الدول العربية، ونفرت هي منه، ومن ثم أخذ لديه ملمح المعشوقة على طريقة شعره الغزلي الأول"[1].

و"نزار" يرى لبنان معشوقته على الرغم من دماره، وعلى الرغم مما لحق به من خراب، واصفاً مأساته المختلطة بالحب والأمل، ليرى فيه جنته ، مؤكداً إيمانه بعودة الحياة الهانئة إليه، مكثفاً ما يريده من معنىً في عبارة(**الله يفتش في خارطة الجنة عن لبنان)** ليترك للقارئ عملية إكمال إنتاج هذا الوصف من خلال تعميق النص الأدبي في ذهنه، فلبنان هو سر الجمال ، وهو بالنسبة لشاعرنا أجمل البلدان،. يقول:

"اللهُ يُفتّشُ في خارِطةِ الجنّةِ عن لُبنان

والقَمرُ الأخضَرُ

عادَ أخيراً كي يتَزَوّجَ من لُبنان

أعْطيني كَفّكِ...

يا جَوهَرةَ اللّيلِ، وزَنْبَقَةَ البُلدان"[2]

وقد كانت بيروت أكثر مدينة لبنانية أثرت في شاعرنا ، فقد أحبها حباً جماً وكانت نظرته إليها مليئة بالحب والجمال على الرغم من كل ما لحق بها من دمار بسبب الحرب.

والشاعر يؤكد لنا حبّه لبيروت على الرغم مما فيها من متناقضات فهذه المدينة الصغيرة جامعة للكثير من الثنائيات الضدية كالحب(متمثلا بحبّه وتعلقه بمدينة بيروت التي

[1] الوصيفي، عبد الرحمن محمد، نزار قباني شاعراً سياسياً، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة،ط2،2002، ص:192

[2] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص: 587

كانت مصدر إلهامه الشعري)، والحرب (متمثلةً بالحرب الأهلية التي كانت السبب في المصير المؤلم الذي آلت إليه مدينة بيروت)، وكالجمال (متمثلاً بواقع مدينة بيروت قبل الحرب الأهلية)، والقبح (متمثلاً بالحرب الأهلية وما جرّته على مدينة الحرية والجمال من دمار وألم)وكالحياة (متمثلةً بما منحته لشاعرنا من أمل وحرية)، والموت (متمثلاً بحادثة موت زوجته بلقيس في أحد الانفجارات)؛ ولهذا فهو يراها دماءً وجواهر، وجوعاً كافراً، وشبعاً كافراً، وظلماً وعدلاً، وسبياً وقتلاً وشاعراً، إذ يقول :

"ما زِلْتُ أُحبّكِ يا بَيروتُ المَجنونهْ

يا نَهرَ دِماءٍ وجَواهِرْ

ما زِلتُ أُحبّكِ يا بَيروتُ القلْبِ الطّيّبِ

يا بَيروتُ الفوضَى...

يا بَيروتُ الجوعِ الكافرِ، والشّبَعِ الكافرْ

ما زِلْتُ أُحبّكِ يا بَيروتُ العدلِ

ويا بَيروتُ الظُّلمِ

ويا بيروتُ السَّبْيِ

ويا بَيروت القاتِلِ والشّاعرْ"[1]

وهو هنا يحاول إيصال مدى تأثره للحال التي وصلت إليها هذه المدينة، من خلال إيراده جملة من العبارات المتناقضة والتي توحي بمشاعر مضطربة تختلج في نفسه ، بالإضافة إلى قوة العبارات التي تتلاءم مع صعوبة ما واجهته بيروت من ظروف وأحداث مؤلمة.

وعندما دعا " نزار" بيروت بأنثاه نقل للمتلقي مشاعر الألم والانكسار، فقد أمدّت بيروت شعر نزار بالحرية، ومنحته من الجمال والحب ما أغنى مسيرته الشعرية هذه، فاستطاعت بما منحته من حرية أن تشرع أبواب الأمل أمامه من أجل بناء مستقبل أفضل، لذلك بكى نزار فقدانها بحرقة، وكان ضياعها يعني بالنسبة إليه ضياع الحياة بكل معانيها، يقول:

"آهِ يا بيروتُ .. يا أُنثايَ من بين ملايين النّساءْ

يا رحيلاً بُرتقالياً على وردٍ.. وبرقوقٍ... وماءْ

[1] المصدر نفسه، ج3، ص:589

يا طموحي_ عندما أكتبُ أشعاري– لتقريب السّماءْ"[1]

وبيروت في النص السابق تتصف بأنها رحمٌ فضائيٌّ، وجسدٌ أنثويٌّ؛ فهي أنثى نزار قباني اختارها من بين ملايين النساء، وتشير لفظتا (برتقالياً) و(برقوق) إلى احتراق بيروت، فعندما كانت بيروت تحترق وتتألم، كان نزار يبحث عن وجهها المحاصر بين ألسنة اللهب. وهنا يظهر لنا الامتزاج القوي بين المرأة وبيروت ، لأنّ المرأة في نظر" نزار قباني "تمثّل كل ما هو أساسي وثابت في حياة الشاعر من قبح كان أو جمال،(وإنّ هذا الامتزاج، امتزاج المرأة بالمدينة، والمدينة بالمرأة هو الشيء الرائع الذي نلاحظه في قصائد بيروت، وهو الشيء الفني الذي يمنح القصيدة ثوب الجِدّة والإبداع)[2]

كما يعرض في مكان آخر ويلات وألم الحرب ومآسيها على هذه المدينة ، ويصور كيف قُتل الحلم، وأُردي الحب، وذبل جمال هذه الأنثى بيروت، الأمر الذي أجبره على مغادرتها بقوله:

"أطلقوا النّارَ على الحُلم فأردوه قتيلا
أطلقوا النار على الحُب فأردوه قتيلا
أطلقوا النار على البحر ، على الشمس، على الزرع
على كتب الأطفال، قصوا شعر بيروت الطويلا..
سرقوا العُمر الجميلا..."[3]

فهو يؤنسن بيروت من خلال إضفاء صفات إنسانية على الأفكار المجردة، مما يساعد على تجسيدها، فجعل من الحلم والحب والبحر والشمس والزرع إنساناً يُقتل، ليعبر عن الألم النفسي الذي يعتريه، فعلى الرغم من جمال بيروت وسحرها، لكنها أصبحت مؤلمة في نفس الشاعر.

"فغالباً ما تحضر صورة المدينة في الشعر العربي كأنها متاه لصراع الذات مع نفسها، ومع الآخر، معاناةً لخلل بنيوي صميمي في الواقع العربي، ولا يستقيم نموذجه الحضاري،

[1] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص:607
[2] حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة في شعر نزار قباني، ص: 137
[3] قباني، نزار ، الأعمال الشعرية الكاملة، ج3، ص: 596

في محاولة تأصيل الحاضر المستلب، باسترجاع الماضي المنتهي، واستحضار المستقبل الهارب، ومن هنا تبدو المدينة مفهوماً مضطرباً يحمل التعارض إلى حد التناقض"[1].

ونزار عندما جعل بيروت حبيبة ومحظيّة أطلق العنان لخياله، مانحاً هذه المدينة صفات الأنوثة، إذ نراه يبثّ كلامه عنها إحساساً بالذنب، وتأنيب الضمير عندما يصورها تُباع وتُشترى، وليس أقسى من هذا الإحساس، وأسوأ منه خزياً وعاراً، إذ باعها قومها، وراحوا يدفنون حزنهم عليها في البارات، ووراء طاولات القمار، فيقول:

"آهِ كم كُنّا قبيحين وكُنّا جبناءْ

عندما بِعناكِ يا بيروت في سوقِ الإمَاءْ

وحجزنا الشُّقّقَ الفَخمةَ في حَيِّ الأليزِيهْ وفي

مَايفِير لَنْدَنَ

وغَسلنا الحُزنَ بالخَمرةِ والجِنسِ وقاعاتِ القِمار"[2]

فقد اتُخذت محظية، إذ قسمها المتآمرون كي يسهل عليهم السيطرة عليها والتحكم بها وفق مصالحهم، مما أثّر في الشاعر؛ لذا راح يصف الواقع المؤلم الذي لحق بها، فهي معشوقته التي لا يستطع أن يتجاهلها على الرغم من كل ما يحمله لها من جمال في خياله وذاكرته، وكل ما يعتريه من مشاعر الحب في قلبه معلناً سخطه وغضبه من كل ما جرى، ومن كل مَن أشعل نار الضغينة بين أعضاء الجسد الواحد... وهذا بدوره ما يؤكد أن "الوطن يعني لشاعرنا الحياة والحب والبقاء وليس الحرب والدمار"[3]، يقول في ذلك:

"ماذا نَتكلّمُ يا بيروت

وفي عَينيكِ خُلاصّةُ حُزْنِ البشرِيّه

وعلى نَهدَيْكِ المُحترَقين.... رَمادُ الحَرْبِ الأهليّه

مَنْ كانَ يُفَكِّرُ أنْ نَتلاقَى ... يا بَيروتُ وأنْتِ خَرَابْ؟

مَنْ كانَ يُفَكّرُ أنْ تَنمُو للوَردَةِ آلافُ الأنْياب؟

[1] روماني، إبراهيم ، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجاً 1925-1962،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1997، ص:28

[2] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص: 613

[3] الوصيفي، عبد الرحمن، نزار شاعراً وسياسياً، ص: 101

مَنْ كانَ يُفَكّرُ أنّ العَيْنَ تُقاتِلُ في يومِ ضِدّ الأهدابْ؟"[1]

ونزار يتأسف للحال التي وصلت إليها بيروت بسبب الحرب، بعد أن كانت مدينة الحرية، والمكان الذي استوفى في نظره مميزات الوطن المنشود، لكنّ الحرب نهشت جسدها الجميل وحولته حطباً، ووقوداً للفتنة، مما جعل حزنه عليها كبيراً، فهو هنا يصوّر لنا مرحلتين مرت بهما مدينة بيروت، وشكلت الحرب الأهليّة مفصلاً هاماً بينهما؛ وذلك ليقبّح آثار الحرب، وينفّر المتلقي منها، علّه يستطيع أن يغير شيئاً من ذلك الواقع العربي المتفكك، من خلال الإضاءة على التاريخ الحافل لمدينته المثالية، كما يقول في ذلك:

"آهٍ يا بَيروتُ

يا صاحِبَةَ القلْبِ الذّهَبي

سامِحينَا

إنْ جَعَلْنَاكِ وقوداً وحَطَب

للخِلافاتِ التي تَنْهَشُ من لَحْمِ العَرَب

مُنْذُ أنْ كانَ العَرَب"[2]

وينتقل الشاعرهنا ليبحث في الأسباب التي أدّت إلى ضياع بيروت، فيوضح لنا أسباب دمارها واحتراقها، ويطلب منها أن تسامحه متحدثاً بلسان كل عربي، فقد جعلها العرب ساحة لتصفية حساباتهم، وحولوها حطباً، ووقوداً لنيران الحرب، فلا يغيب عن باله

" **الدور المهم لبيروت على الصعيد العربي، فيحمّل العرب مسؤولية ضياعها، وخسارة التألّق الذي كانت تتمتّع به، وتُمتّعهم بدورها به في الشرق الأوسط")**[3]

وهو في طلبه الصفح منها، واعتذاره لها، إنما يبرر موقف هجرته منها إبان حربها، فهو يحبها بشدة ، لكن حبه لها، ولجمالها يفوق كرهه للحرب وويلاتها، الأمر الذي ولّد لديه صراعاً داخلياً بين رغبة البقاء، وضرورة الرحيل ، فهي على الرغم من شدّة جمالها، استسلمت للحرب، والفتنة وتحولت بفعلهما إلى خراب ملأ شوارعها إلى حلبة صراع بعد أن كانت مسرحاً للحياة، فشخص المدينة وحولها إلى أنثى ذات مشاعر مرهفة، ليدل

[1] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة،ج3، ص: 579
[2] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص: 613
[3] صالح، الياس جرجي، صورة البلاد العربية في أعمال نزار قباني السياسية، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، 1991،ص:349

على جمالها والخير الكامن فيها، لكن هناك من استغلّ تلك البراءة فدمرها بلا رحمة أمام أعين بعض العرب، الذين فقدوا عروبتهم عندما تخلوا عن بيروت، وتركوها تواجه مصيرها وحيدةً، فقد كانت بيروت في نظر شاعرنا أنثى ضعيفة لم تستطع أن تُدافع عن نفسها، وعن حقوقها، فهذه الأنثى الجميلة تُقتل، على الرغم من أنها هي التي تمنح الخصب والحياة، ولذلك إن ماتت بيروت (بصفتها رمزاً للبنان) سيموت كل شيء معها، وكل من يساهم في قتلها يموت بدوره أيضاً، لأنها في نظره سبب الحياة. يقول:

"إنَّ بَيروتَ هي الأُنثى التي
تَمنَحُ الخِصْبَ وتُعطِينَا الفُصُولا
إنْ يَمُتْ لُبنانُ ..مُتُّمْ مّعَهُ
كُلُّ مَنْ يَقْتُلْهُ ...ماتَ قَتيلا"[1]

فقد ربط الشاعر في النص السابق مصير العرب بمصير بيروت، فهي سرّ بقائهم حتى ولو كانت منكوبة.

ويرتبط حديث نزار قباني عن بيروت بالمرأة، إذ غالباً ما يجعل منها أنثى يرمز من خلالها إلى الأم والحبيبة، بل يمكننا القول إنّ بيروت بمنزلة الحبيبة.

والملاحظ أنّ نزار عندما كتب عن مأساة بيروت، أراد أن يعكس واقعاً عربياً مُتأزّماً، وهوية عربية ضائعة، فقد ولدّت أحزان لبنان بفعل الحروب في نفس شاعرنا ثورة، امتدت إلى حروف أبجديته، فتحوّل شعره إلى إعلان سياسي غاضب، خاصة عند مقتل زوجته بلقيس الراوي في تفجير السفارة العراقية في بيروت، يقول في قصيدة **بلقيس:**

"بَيروتُ تَقتُلُ كلّ يومٍ واحداً منا
وتبحثُ كُلّ يومٍ عن ضَحيّهْ
والموتُ في فُنجانِ قَهوتِنا
وفي مُفتاحِ شِقّتِنا...
وفي أزْهارِ شُرفَتِنا...
وفي وَرَق الجَرائِدِ ....

[1] قباني، نزار،الأعمال السياسية الكاملة،ج3،ص: 627

والحُروفِ الأبجَديّة"[1]

فحديثه هنا عن بيروت مرتبط بزوجته بلقيس، إذ توحد المكان هنا (بيروت)، بالمرأة (بلقيس).

ويعبّر نزار قباني عن موقفه من الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان ، فهو استقرّ فيها، وقرّر التفرّغ لكتابة الشعر فيها، فكانت مصدر إلهامه، فآلمه ما آلمها، لذا نجده يدعوها لتقوم من أجل الحب، وتنتفض من غفوتها، قائلاً:

"قُومي مِنْ أجْلِ الحُبّ، ومِنْ أجل الشُّعَراءْ
قُومي مِنْ أجْلِ الخُبْزِ، ومِن أجْلِ الفُقَرَاءْ
الحُبّ يُرِيدُكِ.... يا أحْلى المَلِكاتْ
والرّبُّ يُريدُكِ... يا أحلى المَلِكاتْ
ها أنْتِ دَفَعْتِ ضَرِيْبَةَ حُسْنِكِ مثلَ جَميعِ الحَسنَاواتْ
ودَفَعْتِ الجِزْيَةَ عن كُلّ الكَلِماتْ"[2]

لم يكتفِ نزار بجعل سبب المأساة يعود إلى حسن بيروت، وجمالها، بل ذهب إلى أعمق من ذلك، فعلى الرغم من أنه يعشق الجمال، ويقدّسه، ويبحث عنه في كلّ شيء، إلا إنه لم يرصد مأساة بيروت من الخارج فقط بل تعمق فيها؛ ففُقدان بيروت جمالها كان أعظم مأساة بالنسبة لشاعرنا، فتعامل معها على أنها أنثى، ونظر إليها نظرة عشق، وجمال، وبعد أن رآها تُسبى، وتُذبح، صرّح موضحاً موقفه منها على طريقته الخاصة **(أنا لسْتُ مُدّعياً عامّاً ولا وكيل نيابة لأنظّم ملفّ جريمة، إنّني شاعر رأى مدينة تُسبى، وتُحرق، تُذبح بشكل عبثيّ، ومجّانيّ ، وغوغائيّ، فصرخ بطريقته الخاصة)**[3]، فهو في النصّ السابق يشرح التحول الكبير والخطير الذي لحق بمدينة بيروت، فهي عاشت مرحلتان (قبل وبعد)؛ يمثل الجمال الذي تحدث عنه الشاعر مرحلة ال(قبل)، بينما يمثل الألم المتمثل بالفعل (قومي) الذي يدلّ على السقوط ، وما تكرار الشاعر لهذا الفعل في الأبيات إلا إيماناً منه بقوة بيروت وقدرتها على النهوض والعودة أقوى مما كانت عليه.

[1] قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة،ج4، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط2، 1998ص:21
[2] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، ص: 582
[3] قباني، نزار، ما هو الشعر، الأعمال النثرية الكاملة، منشورات نزار قباني ، بيروت لبنان، ج8، ط1، 1993، ص: 152

ومرحلة ال(بعد) التي وصلت إليها بيروت نتيجة الأطماع التي طالتها، والانقسامات التي عاشتها، ونلاحظ هنا تكراره الفعل (قومي)، ليشير إلى أنه حريص على رؤيتها كما اعتاد أن يراها دائماً قويّة، جميلة، فاتنة، مدينة الحب والشعراء، ومصدر الإلهام.

إنّ نظرة نزار لمدينة بيروت لا تتجسّد في وصف المكان، والحديث عن تفاصيله، إنّما تنبع من شعور قومي لدى الشاعر، وإحساس بعمق المأساة، إذ جاءت معاني القصائد، وصورها، معبّرة عن الواقع الأليم.

فقد كوت بيروت بحرقة شاعرنا، وجعلته يدفع ثمن حبّه الشديد لها، وللأيام الجميلة التي قضاها في كنفها، بفقدانه حبيبته بلقيس في أحد تفجيراتها كما ذكرنا سابقاً، لتصبح هذه المدينة بالنسبة له رمزاً للحبيبة، والثورة، والحريّة، ولذلك فهي في نظره ستّ الدنيا، ولا حياة بعدها، فراح يعتذر منها بسبب تخلي عشاقها عنها، فقد تركوها عندما كانت في أمسّ الحاجة إليهم، فلم يعرفوها كحبيبة، بل كعشيقة يشربون معها زجاجة خمر، وحين ينشب عراك على الطاولة يحملون حقائبهم، ويتركونها وحيدة، فلهذا كانوا السبب في مأساتها:

"نّعتّرفُ الآنَ ...بأنّا كُنّا يا بيروتُ
نُحبّكِ كالبَدْوِ الرُّحَّلْ
ونُمارِسُ فِعْلَ الحُبّ ...تماماً
كالبَدْوِ الرُّحّلْ...
نَعتَرِفُ الآنَ بأنّكِ كُنْتِ خَليلَتنا
نأوي لِفراشِكِ طُولَ اللّيلِ...
وعِنْدَ الفَجْرِ نُهاجِرُ كالبَدْوِ الرّحَّلْ
يا سِتَّ الدُّنيا، إنّ الدّنيا بعدَكِ ليست تكفينا
الآنَ عَرَفْنا .... أنّ جذورَكِ ضَارِبةٌ فينا
الآنَ عرفنا... ماذا اقْتَرَفَتْ أيدِينا
مَنْ باعَ أساوِرَكِ المَشغولةَ باليَاقوت
من صادرَ خاتَمَكِ السّحريّ

وقَصَّ ضَفائرَكِ الذَّهبيَّة"[1]

لقد كانت بيروت بالنسبة لنزار قباني امرأة لا تتكرر، لا بل أجمل امرأة عرفها، جمعت من الجمال، والحرية ،والتمرّد ما أمدّ الشاعر بالعطاء الشعري الثريّ، وتمتعت بسمات فريدة ميزتها من غيرها، فأخذت عنده بعداً رمزيّاً فمثّلت له البيت، المستقبل، الحبيبة، وهو هنا يقدم اعترافاً صريحاً بمسؤولية العرب جميعاً في وصولها إلى هذا المصير، نتيجة ممارساتهم البدائية في حب مدينةٍ لم تبادلهم إلا بالحب والاحتواء.

النتائج:

استطاع بحثنا هذا أن يخلص إلى جملة من النتائج كان أبرزها:

– اكتسب المكان أهميّة خاصّة في شعر نزار قباني، وقد ارتبط الزمان بالمكان في أشعاره لأن إدراك الزمان يتمّ من خلال المظاهر المكانية، وهذا ما تجلّى بوضوح في قصائده التي وثّقت بشكلٍ فنّي مؤثّر لأحداثٍ مرّ بها على الصعيد الشخصي (موت زوجته)، وأحداثٍ مرّت بها بيروت على الصعيد التاريخي (الحرب الأهليّة).

– للحديث عن المكان في شعر نزار قباني أبعاده النفسية والعاطفية والوطنية والسياسية والتاريخية... فقد جعل من بيروت رمزاً للحب في قصائده، فقد اكتسب المكان في شعره هويته انطلاقاً من صدق المشاعر وعمق المعاناة وشدة الاغتراب الذاتيّ، إذ أثّر المكان فيه، ومنحه هويّة خاصّة، لذلك جاء معبّراً عن تجربة فنيّة وإنسانيّة خالدة.

– ارتبط حديث نزار قباني عن المكان بحديثه عن المرأة وكأنهما قضية واحدة، فمزج بين الأنثى وبيروت مستعيناً بخيال رحب، وهذا إن دلَ على شيء فهو يدلَ على أن المرأة بنظره وطن.

– احتلت بيروت في شعره مكانة هامّة، فهي التي منحته الحرية التي يحتاجها ليقول ما يريد دون أي قيد أو شرط، كما رأى أن ضياع بيروت، أو فقدانها يعني فقدان الحياة،

[1] قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة،ج3،ص: 584،586

فمنها تُستمدّ الحياة في نظره، ومن هنا كان مزجه لها مع المرأة، لأن المرأة هي صراع الإرادة، ونزاع الحياة، والموت، وهي رؤيا للحق والحرية، ومن هنا كانت بيروت والمرأة عنده وجهان لعملة واحدة.

– جاءت أفكار قصائده في بيروت بسيطة، فهو يريد أن يظهر جمال هذه المدينة الذي شوهته الحرب، وأن يسرد حقائق لا تحتاج أفكاراً عميقة تجهد القارئ، كما يريد أن يعبر عن حقيقة مشاعره تجاه هذه المدينة، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على إخلاصه للجمال والحرية، والشعر معاً دون الاهتمام بأي شيء آخر، فقد اتخذ المكان في شعره تشكيلات ثنائية أبرزها (قبل (مرحلة ما قبل الحرب الأهلية، التي تمثّل الحياة والجمال)، وبعد (مرحلة ما بعد الحرب الأهلية، التي تمثّ الموت والألم)).

– عرض لنا نزار قباني وهج عاطفة الحب في قالب سياسي، حين جعل بيروت المرأة التي يحب ويعشق، وظهرت هذه العاطفة قوية، ثائرة من خلال انسجامه مع الموضوع، وتأثره به إلى حدّ بعيد.

قائمة بالمصادر والمراجع:

المصادر:

- **الدواوين:**

1. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان،2002
2. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط9، 2002
3. قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د.ت
4. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة، ج4، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط2، 1998
5. قباني، نزار، الأعمال الشعرية الكاملة ، ج 9، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، ط1، 2002

المعاجم:

1. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مج2، بيروت، 1982م.
2. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، القاهرة، ج5
3. الفيروز أبادي، جمال الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1998
4. الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1981

5. المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ج5 ، 1968
6. معلوف، لويس ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط3، 1992
7. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط3، 1993
8. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد11، دار صادر، بيروت.

المراجع

1. إبراهيم، جودت، التّناص والتّلاص في الشعر العربي الحديث والمعاصر، حمص، ط1، 2015
2. إبراهيم، جودت، منهجية البحث والتحقيق، منشورات جامعة البعث، 2007-2008
3. تاج الدين، أحمد، نزار قباني والشعر السياسي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2001
4. جنداري،إبراهيم ، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001
5. الجندي، أحمد، شعراء سورية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1965
6. الحاوي، إيليا، نزار قباني شاعر المرأة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج1،ط1، 1973
7. حسن، ديب علي، نزار قباني رحلة الشعر والحياة، بيروت، المنارة، ط1، 2000

8. حيدوش، أحمد، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001
9. داوودي، ياسين، نزار قباني شاعر الحب والوطن والسياسة، الدار المركزية للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2009
10. دقاق ، عمر ، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، مكتبة الشرق ، حلب ، ط2 ، 1963
11. دقاق، عمر، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق، سورية، ط1، 1971
12. روماني، إبراهيم ، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجاً 1925-1962،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1997
13. سويرتي، محمد، النقد البنيوي والنص الروائي، نماذج تحليلية من النقد العربي، إفريقيا الشرق، ج2، ط1، 1991
14. الشيخ، غريد، أيام مع نزار قباني، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 2012
15. الصالح، خرفي محمد، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، جامعة منتوري، الجزائر، 2006
16. صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1997
17. صافي ، عبد الهادي عبد العليم ، الشعر السياسي عند نزار قباني ومستوياته الفنية ، دار الإرشاد للنشر، حمص ، د.ط ، 2008
18. صبحي، محيي الدين، نزار قباني شاعراً وإنساناً، دار الآداب، بيروت، ط1، 1964

19. صبحي ، محيي الدين ، الكون الشعري عند نزار قباني ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1982

20.الطالب، هايل، قراءة النص الشعري لغة وتشكيلاً، نزار قباني نموذجاً تطبيقياً، دار الينابيع، دمشق، ط2، 2008

21.طوق، جوزيف الخوري، نزار قباني ثورة وحرية، دار نوبلس، بيروت، لبنان، ط2، 2005

22.عثمان، اعتدال، إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، د.ط، 1988

23.فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء، مصر، ط2، 1998

قنطار، سيف الدين، الأدب العربي المعاصر بعد الاستقلال، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1997.

24.قاسم، سيزا، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د0.ط، مكتبة الأسرة، سلسلة إبداع المرأة، 2004.

25.الكيالي، سامي، الأدب العربي المعاصر في سورية، دار المعارف، مصر، ط2، 1968

26. لحمداني، حميد، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء، 1999.

27.اللباني، محمد إسماعيل ، الحس الثوري في شعر نزار قباني، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1999

28.مجموعة من المؤلفين، نزار قباني شاعر لكل الأجيال، إشراف سعاد الصباح، إعداد وتحرير محمد يوسف نجم، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1998

29.مجيد، محمد حسن علي، فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1988

30.المقالح ، عبد العزيز ، الشعر بين الرؤيا والتشكيل ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1981

31.المولى ، محمد علاء الدين ، دفاعاً عن الشاعر نزار قباني ،محاولة قراءة جديدة في شعره، د.ط1 ، 2002

32.النابلسي، شاكر، الضوء واللعبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986

33.نجم، خريستو، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، 1983

34.النصير، ياسين، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986

35.النعيمي، أحمد حمد: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

36.النقاش، رجاء، ثلاثون عاماً مع الشعر والشعراء، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992.

37.النقيب، مازن، نزار قباني شاعر الحب والوطن، دار حازم للطباعة والنشر، ط1، 2002.

38.الوصيفي، عبد الرحمن، نزار شاعراً وسياسيّاً، دار الحريري للطباعة، القاهرة، ط1، 1995، وصدر في طبعته الثانية عن دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، عام 2002.

المراجع المترجمة:

1. أفلاطون، طيماوس، ترجمة: الأب جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1968.
2. باشلار ،غاستون ، جماليات المكان ، ترجمة : غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط4 ، 1996 .
3. لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم دراز، ضمن كتاب جماليات المكان لمجموعة من الباحثين، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988.
4. هاوزر، أرنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط2، ج1، 1981.

رسائل الماجستير والدكتوراه:

صالح، الياس جرجي، صورة البلاد العربية في أعمال نزار قباني السياسية، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، 1991